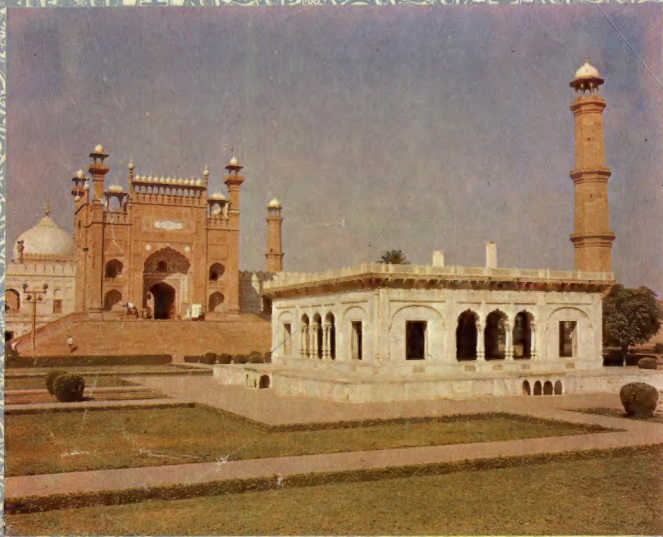


الوعي الإسلامي

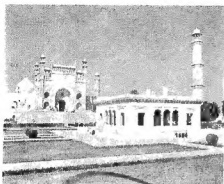
إسلامية ثقافية شهرية

السنة العاشرة - العدد ١١١ - غرة ربيع الأول ١٣٩٤ هـ - مارس ١٩٧٤



وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَوْلَى

سید



مسجد شاه جيهان بمدينة شاتنا -

باكستان

الثمن :

٥ فلسا	الكويت
١ ريال	السعودية
٧٥ فلسا	العراق
٥ فلسا	الأردن
١٠ قروش	ليبيا
١٢٥ مليما	تونس
دينار وربع	الجزائر
درهم وربع	المغرب
٧٥ فلسا	الخليج العربي
٧٥ فلسا	اليمن وعمان
٥ قرشا	لبنان وسوريا
٤ مليما	مصر والسودان

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السنة العاشر

العدد ١١١

غرة ربيع الأول ١٣٩٤ هـ

مارس ١٩٧٤ م

هدفها : المزيد من الوعي ، وإيقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي الاشتراك السنوي للهيئات فقط اما الأفراد فيشتركون راسا مع متعهد التوزيع كل في نظره

عنوان المراسلات :

مجلة الوعي الإسلامي - وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية

مستودع بريد : ١٣ - الكويت - هاتف : ٤٢٨٩٣٤ - ٤٢٢٠٨٨

شورياتنا

إعلان حقوق الإنسان

وذكرى إعلان حقوق الإنسان..

منذ بضع سنوات دق الهاتف فكان المتكلم كبيرا مسؤولا في هيئة الأمم المتحدة من إحدى دول أمريكا اللاتينية ، قال : إنه سيعب سفير اندونيسيا بالأمس في خطاب القاه على أحد المحافل الدولية يسوق آية ذكر أنها من القرآن الكريم وفيها يخاطب الله عباده بأنه خلقهم جميعا من أصل واحد وأنه لا فضل لأحد على آخر إلا بالعمل الصالح ، ثم قال هذا المتحدث إنه حاول العثور على هذه الآية في النسخة القرآنية التي بيده ، وهي باللغة الأسبانية ترجمة عن الأصل العربي فلم يجدها ، فأدرت أنها الآية التي تقول : « **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا** » إن أكرمكم عند الله اتقاكم ، **إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** » عدلته على موضعها من الكتاب الكريم وذكرت له أنها الآية رقم ١٣ من السورة رقم ٤٩ (سورة الحجرات) ، فقلب صفحات الكتاب الذي بيده ، ثم صاح مسرورا وقال أنه قد عثر عليها ، ثم صار يترجم ما يقرأه من الأسبانية إلى الإنجليزية ليطمئنني على أنها الآية التي يطلبها ، وأبدى إعجابه من أن يشتمل هذا الكتاب الكريم الذي أوحى به منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا على هذه التعاليم الانسانية الجليلة قبل صدور اعلان حقوق الانسان في العصر الحديث .

ذكرت ذلك الحادث في الشهور القليلة الماضية حيث احتفلت هيئة الأمم المتحدة واحتفل العالم معها بالميد الفضي لاعلان حقوق الانسان ، اعنى تلك الوثيقة التاريخية التي صاغتها هيئة الأمم ووافقت عليها وأوصت وصاة مؤكدة أن تعمل جميع الدول الاعضاء بمقتضى هذه الوثيقة ، وكان اعلانها في العاشر من ديسمبر عام ١٩٤٨ ، واعتبر اعلانها حجر زاوية في تاريخ

الانسانية لما اشتملت عليه من وصايا انسانية جلية ، والوثيقة — كما هو معلوم — تحتوى على ثلاثين مادة ، ولكنها كلها تدور حول مبدأ المساواة وكرامة الانسانية ، وبمبدأ حرية الفرد ، وسائر موادها تدور حول حصول هذين البديلين أو ترجع إليهما .

وقبل مقدم تاريخ تلك الذكرى بأشهر ، اهتمت هيئة الأمم المتحدة ووكالاتها الفنية المختلفة باعداد العدة للاحتفال بالذكرى ، فعمدت الاجتماعات وتبذلت المذكرات ونشرت المقالات ، والقيت الاحاديث ، ولا تزال نقرأ وتصلنا المقالات والوثائق الخاصة بهذه المناسبة .

ثم ذكرني بالحادث الذي سقته أول هذا المقال مقدم المولد النبى الشريف ، مولد الهدى والنور ، مولد اعلان الحقوق الانسانية اعلانا تاما كاملا شاملا صحيحا ، وجذبنى ذلك كله الى التأمل ومقارنة ما ورد بهذه الوثيقة وخاصة من حيث هذه المبادئ المذكورة ، وما جاء محمد بن عبد الله فى القرن السادس الميلادى ، فى زمن اهدرت فيه كرامة الفرد ، وفشا فيه الظلم والجهل والبغى والفساد ، ولفت نظرى الى ذلك بالاكتر ما ورد بالخطب والاحاديث والمناقشات والمقالات فى هذا الصدد ، اذ كان اكثرها نقدا مرا لما عليه وضع الانسان الحالى ، وفشل الامم فى تطبيق نصوص هذا الميثاق ، فقد ذكروا أن العالم لا يزال يعاني من ويلات الحروب أو من الخوف منها ، ولا تزال السجون مشحونة بالابرياء ، ويعامل أسرى الحرب معاملة وحشية غليظة ، فتخلع اظفارهم وتكوى جلودهم ويفسسون فى الماء أو يعلقون فى الهواء بعد طول الحرمان من النوم والطعام والشراب لإكراههم على الإدلاء بمعلومات فى صالح جلاديهـم ، بل تعذب أطفالهم ويعتسدى على حرمهم أمام أعينهم من أجل ذلك ، وقالوا : لا يزال القوى يعتسدى على الضعيف ، ولا يتألى الدول الكبرى بمصالح الدول الصغرى ، ولا تزال الانسانية تعاني من التفرقة العنصرية المريرة . الى غير ذلك مما يتناهى مع الكرامة الانسانية ويتعارض مع نص اعلان الحقوق الانسانية .

وهكذا كان تقييم المختصين لأثر اعلان حقوق الانسان سلبيا ، فلم يحقق هذا الاعلان ما توقع له الناس من نجاح ، فلم يغير وجه التاريخ ولم يسهم فى تقدم الانسانية شيئا يذكر .

كل هذا اخضر فى الذهن مزايا تعاليم الرسول وفضل هدى ديننا الحنيف ، واذا كانت الامم تهتم بتخليد عظمتها وتجدد ذكرى كفاحهم بالاحتفال بأعياد ميلادهم ، فالرسول الكريم — خير البشر وسيد الانبياء وأفضل المصلحين — لا جدر بالخلود ، وتعاليمه وهدىه أولى بالذاكرة والمراجعة ، وبيان مزاياها وفضلها ، وخاصة فى مناسباتنا الدينية من مثل مولده الكريم الذى نتحتفل به هذه الأيام .

لقد سبق هدى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم معلنا حقوق الانسان قبل أن تعلنها الوثيقة الحديثة عام ١٩٤٨ بقرون طويلة ، والواقع أن اعلان حقوق الانسان لم يأت بشيء لم ينطو عليه كتاب الله أو سنة رسوله ، ولقد رأينا كيف دهش المسئول الكبير بهيئة الأمم المتحدة عندما رأى

أن اعلان مبدأ المساواة والكرامة قد عبر عنه كتابنا الكريم بأعلى أسلوب وأبلغه قبل اعلان المساواة في وثيقة حقوق الانسان بأكثر من ثلاثة عشر قرنا ، و اعلان المساواة بالوثيقة الحديثة الفاظ بدون روح وعبارات لا يصحبها الايمان ، أما ما ورد بالكتاب العزيز عن المساواة والكرامة فهي تعاليم مؤكدة من لدن الخالق المبدئ .

يمبر الكتاب الكريم عن المساواة بوحدة الاصل ، اى كون مصدر الجميع واحدا ، ذكرا و أنثى ، ويكرر ذلك الكتاب العزيز بأسلوب آخر فيقول : **« والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا »** ويقول : **« منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى »** ويقول : **« ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين »** ، ويحرم التمييز والفرقة فيقول : **« .. ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله »** ويقول : **« والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا برأدي رزقهم على ما ملكت أيماهم فهم فيه سواء »** ، ويقول الرسول الكريم : **« الناس سواسية كأسنان المشط »** .

أما مبدأ الكرامة الانسانية واحترام الفرد ذكرا كان أو أنثى ، فيتجلى في جعل الله الانسان خليفة في الأرض ، وأمره الملائكة بالسجود لآدم ، وتفضيل بنى آدم على العالمين ، قال سبحانه : **« ولقد كرّمنا بنى آدم وجعلناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا »** ويقول : **« ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم »** ، وقال : **« لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم »** ، ويقول سبحانه : **« والله العزة ولسوله وللؤمنين »** ثم ان الاسلام حض على اكرام الضعيف ونهى عن الاهانة حتى حين اعطاء الصدقات فقال : **« قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى »** ، كما حث على اكرام الأسير وعق الرقاب وجعل ذلك من أعظم الحسنات وكفارة عند ارتكاب بعض السيئات ، وحض الناس على أن يطعموا من تحت يدهم ما يطعمون ويكسوهم بما يكسون ، وقال صلوات الله وسلامه عليه : **« أخوانكم خولكم »** .

فغرس الاسلام بتعاليمه الرشيدة مبدأ المساواة الانسانية وكرامة الفرد في نفوس المسلمين حيث أعلن عن ذلك الخالق الذي يؤمنون به ويرجون رحمته ويخافون عذابه ، لذلك يلتقى المسلم بأخيه المسلم وقد قدما من بلدين بينهما آلاف الأميال فلا يعنيه تشكله ولا لونه وإنما يعنيه أنه يشاركه إيمانه بالله ورسوله ويشاركه الاعتقاد بمبدأ الوجود ومصير الوجود وما يتفرع عن ذلك من قيم ومثل : ولقد طبق الرسول صلوات الله وسلامه عليه وكذلك الخلفاء الراشدون من بعده هذه المبادئ تطبيقا واقعيا عمليا ، فكان الرسول نفسه — رغم عظيم فضله وارتفاع منزلته فوق العالمين — يجلس حيث ينتهي به المجلس ، ورضي من الدنيا بالقليل ، وقال : **« إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة »** ، وقال : **« سلمان منا آل البيت »** ، واختار عتيقا حبشيا ليكون مؤذنه ، ولو أطلقنا العنان لما أثر عن كبار الصحابة والراشدين في هذا الصدد لطلال الكلام وضاق بنا المقام .

فما جاء به الاسلام من المساواة والعدالة والكرامة الانسانية هي

مبادئ مشتقة من الايمان بالله كما ذكرنا ، مبادئ صريحة صادقة فعالة ، ولا تعاني البيئة الاسلامية حتى اليوم — بالرغم مما حل بها من الفساد على مر الدهور — مما تعاني منه البيئة الغربية من مشاكل عنصرية عميقة المدى ، تتكرر في كثير من الاحيان للانسانية ، وتفرق بين الأبيض والأسود والغربي والشرقي والرجل والمرأة ، كما تتجاهل كثيرا حق الفرد من الكرامة والمعاملة الحسنة العادلة .

اما مبدأ الحرية الفردية كما ورد باعلان حقوق الانسان فان الوثيقة لم تكفل شيئا لضمان تنفيذه ، وتركت فجوات واسعة ينفذ منها ذوو المصالح الجشعة والأغراض غير الشريفة ، ولم تصنها بسياس يحميها من عدوان النفعيين المنحليين وتوسعهم في تأويلها وتفسير مداها ، فترى الصهيونيين مثلا يبالغون في حرية الفرد وحقه في الهجرة التي نص عليها (الاعلان) للضغط على الحكومة الروسية للسماح لليهود من مواطنيها بالهجرة الى اسرائيل ليستعمروا ما يغتصبون من أرضنا العربية الاسلامية ظلما وعدوانا ، وهم في نفس الوقت يحرمون من هذا الحق مئات الآلاف من الفلسطينيين الذين طردوهم من بلادهم واغتصبوا أرضهم وديارهم ، كما يسيء الكثير من المسيطرين على الصحافة ودور النشر في الغرب استعمال هذا الحق بدعوى حرية الصحافة وحرية التعبير فيستبيحون الطعن والذم ، ويخوضون في حق من لا يتبع أهواءهم ، وينالون حتى من شخصيات الرسل والأنبياء الكرام ، كما ان الإباحيين يستغلون هذا الحق فيستخدمونه في نشر موادهم الفاتنة الخليعة داعمين للفوضى والقضاء على الموروث من قيم ومبادئ خلقية ، فاصبح الاتصال الجنسي بين شخصين بالغين خارج الزواج أمرا عاديا في نظر هؤلاء ومن قبل فلسفتهم من ملايين (المتنورين) المنحليين ، وينعون على من ينقد ذلك او يسميه (بالزنا) ويعتبرون ذلك رجعية فاسدة ! فتيسرت وسائل منع الحمل كي يتمتع الشباب والشابات دون أن تتعرض الفتاة لمشاسق الحمل ومتاعبه ، ولا تتردد الأم في ذلك الجزء من العالم في حض بنتها غير المتزوجة على تناول حبوب منع الحمل ، وإذا حدث أن حملت الفتاة فان ذلك قد أصبح بحيث لا يضر سمعتها ، وأصبح اصطلاح (أم غير متزوجة) اصطلاحا مألوما مستعملا — ومع هذا فهناك عيادات الاجهاض منتشرة في البلاد تقوم بهذه العملية بسهولة وسرعة وعلى حساب الدولة أحيانا ، وكثر الترويج لما يسمونه (الزواج المفتوح) الذي لا يلزم أحد الطرفين — أعني الزوج والزوجة — بقصر نشاطهما الجنسي عليهما بل يزعمون أنه ينبغي فتح الباب لكل منهما للاتصال بالأجنبي والاجنبية جنسيا للترويج والتغيير ، ومن العجيب انهم يزعمون — وما أعجب ما يزعمون — ان هذا ادعى لدوام العلاقة الزوجية ، وبالتالي اتنع في الجو العائلي ، معاذ الله !

وحتى عبارة (الشذوذ الخلقي) يريدون محوها من القواميس ، يزعمون أنه كما أن هناك أفرادا يؤثرون الاتصال الجنسي بأفراد من الجنس الآخر — وهم غالبية الشعوب — فهناك من يؤثر الاتصال الجنسي بفرد من نفس الجنس ذكرا أو أنثى ، ثم يزعمون ويؤكدون أن ذلك أمر عادي وخلقى

وطبيعى ولا يسوغ اعتباره شذوذاً أو خطأ ، ويزيدون فيقولون : إن القول بشيء من ذلك ظلم من الأغلبية للأقلية ، ونتيجة لأعمال الإباحيين كثر نشر الكتب والمجلات الخليعة وتعددت الأعلام الفاسدة الضارة المكشوفة المستهترة ، وأضحى لمن نسبيهم بذوى الشذوذ الخلقي نواد وجمعيات ومؤسسات دون حياة ولا خجل ، حدث كل ذلك باسم حرية الرأي وحرية التعبير مع مخالفة هذا كثيراً لبدا الحرية الصحيح كما يخالف كذلك — فيما نرى — مبدأ الكرامة الإنسانية .

جاء الهدى المهدى ببدا حرية الفرد ولكنه صان هذه الحرية وكملها بما يضمن صالح الفرد والجماعة ويرضى الله تعالى ، يقول سبحانه : « **أنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً** » ويقول : « **وهديناه النجدين** » ، ويقول : « **لا إكراه فى الدين** » ويقول : « **ممن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر** » ويقول : « **ممن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً** » ، ورفع الإسلام الحظر عن تورط فى محظور مكرها ، فقال صلى الله عليه وسلم : « رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » ، ولكن الإسلام اذ يكفل الحرية الشخصية فإنه يرفعها ويصونها ويصون صالح الفرد والجماعة ، فهى حرية فيما ليس بضار أو محظور ، فلا حرية فى العدوان على الحقوق والأعراض أو انتهاك حرمت الله ، ولا يسوغ نشر الفساد أو الاعتداء على القيم بحجة حرية الصحافة أو حرية التعبير ، والمسلم اذ يستغل حقه من الحرية التى كفلها له دينه يعرف أنه يستول أمام الله وأمام ضميره ، محاسب على كل أفعاله ، وهو يعرف ويؤمن بأن الله تعالى مطلع على كل ما يعمل ويعلم ما خفى فى الصدور ، فالحرية ليست قاصرة على المحظوظين بالسلطان أو النفوذ أو من يملكون دور النشر أو الصحافة ، أو على بعض الأجناس الإنسانية التى تدعى لنفسها مزية على غيرها ، بل هى حرية يتساوى فيها الكبير والصغير والغنى والفقير ، والقوى والضعيف ، وهى حرية للإنسانية عامة وفى صالح الإنسانية كلها ، ثم هى محدودة بحدود من الإيمان وعمل الضمير ، لا بحدود ناشئة عن ضغط وإرهاب ، وهى حرية ذات مغزى وروح تعمل فى السر والعلن والظاهر والباطن ، لا حرية قانونية جافة تحسب حساب البوليس والقضاء وضغط رأى العام فتستبيح ما تشاء فى غيبة البوليس وغفلة أعين الناس .

فحقوق الإنسان كفلها الإسلام على خير وجه ، وكان محمد بن عبد الله الذى تحتفل هذه الأيام بذكرى مولده ، معلناً ، والداعى اليهسا ، وحامل لوائها ، والمبشر بها ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

الدكتور : محمد عبد الرؤوف

الخلف الحضارى بين المسلمين

للدكتور محمد البهى

✽ الحضارة هى الانتاج البشرى : الفكرى ، والوجدانى ، والارادى ،
لزيادة ايكائيات الانسان فى سعيه فى الحياة ، وفى تغلبه على مشاق العيش
فيها ، ولرفع مستوى انسانيته فى تقدير ذاته ، وفى علاقة الافراد بعضهم
ببعض .

والحضارة بهذا المفهوم لها جانبان : جانب مادى . . وجانب انسانى :
فالجانب الحضارى المادى هو ما يتمثل فى تقدم البحوث العلمية التجريبية
وفى مدى تطبيقها فى المجالات الصناعية المختلفة . اى يتمثل فى تطور العلوم
الطبيعية . وعلى وجه اخص فى علوم الحيوان — والنبات — والمعادن —
والكيمياء ، وفى قيام الصناعات التى تؤسس على نظرياتها المتجددة ، لخدمة
الانسان فى المرافق العديدة : فى السكن ، والنقل ، وفى وسائل التعليم ،
ووسائل الوقاية من الامراض او المعالجة منها .

والجانب الحضارى الانسانى هو ما يتمثل فى المستوى السلوكى الرفيع
وفى حسن العلاقة بين الافراد التى تقوم تلك العلاقة على الاحساس المشترك
بالقيم الانسانية ، متجاوزة الاحساس بعلاقة الدم ، والاسرة ، والقبيلة ،
والعرق والعنصر .

وتوضع الحضارة — عند توضيحها — فى مقابل البدواة . وهى الفترة
الاولى للانسان قبل تهذيب طبيعته . ولهذه البدواة مظاهر فى اسلوب الحياة ،
وفى السلوك ، وفى المعاملة ، تتم جميعها عن دفع انانى يسيطر على الانسان .
نحية البدائى لا تقوم على بساطة الوسائل المادية فحسب فى السكن والنقل ،

والمعيشة . بل كذلك استخدامه لهذه الوسائل يدل على تثبيته بالبقاء وحده ،
فى غير رعاية للآخرين معه ، وسلوكه يصدر فيه عن ارتباط وثيق بالذات ،
دون ما سواها . ومعاملته للآخرين تبعد كل رعاية لحق : فى وجودهم وفى
حياتهم المشتركة معه ، وإن كانوا ذوى قرىبى قريبة له .

وهكذا : البداءة والحضارة مفهومان يستخدمهما الإنسان : مرة للتعبير
عن وقوفه عند طبيعته ، مغلفة وغير مشذبة ، وعند خصائص هذه الطبيعة
فى المعيشة ، والسلوك ، والمعاملة . ومرة أخرى للتعبير عن تجاوز هذا
الوضع المغلف الى وضع التفتح والتطور والتحرك نحو ما يزيد فى طاقاته ،
ويعينه على اجتياز الصعاب فى الحياة ، ويوثق أوامر القرىبى فى الإنسانية
بينه وبين الآخرين معه فى المجتمع .

وكما هما مفهومان ، هما أيضا مرحلتان فى تاريخ الإنسان ، وتاريخ
مجتمعه . فهناك إنسان بدائى ، وآخر حضارى . وهناك مجتمع بدائى ،
ومجتمع حضارى .

✽ وجانبى الحضارة — وهما الجانب المادى ، والجانب الإنسانى — ليسا
متساويين . أى ليس بلازم إذا وجد أحدهما أن يوجد الآخر حتيا . فالتقدم
الحضارى المادى هو تقدم فكر ، وعلم ، وتجربة ، وصناعة . والتقدم
الحضارى الإنسانى هو تقدم وجدان ، وعمل ارادى ، وخلق وسلوك . وهنا
قد يوجد إنسان أو يوجد مجتمع ، متقدم فى الحضارة المادية ، وهو بدائى
أو أنانى فى السلوك والمعاملة . كما قد يوجد العكس . وهو إنسان أو مجتمع
متقدم فى السلوك والمعاملة ، أى غير أنانى فيها ، وهو مع ذلك غير صاحب
حضارة مادية ، أى غير صاحب حضارة علمية تجريبية ، وصناعية . وحضارته
فى السلوك والمعاملة حضارة إنسانية ، يشارك بإنسانيته الآخرين معه فى
مجتمعه : يحسن ولا يسيء .. وينفع ولا يضر .. ويطمنن ولا يرهب ...
ويتحمل ولا يندفع .

ولأن الجانب الحضارى المادى يلفت النظر أكثر من الجانب الآخر
الإنسانى : يقع كثيرون ممن يجذبهم التقدم الصناعى أو التكنولوجى فى حياة
المجتمعات المتطورة صناعيا تحت اعتبار : أن التقدم الحضارى المادى يستتبع
كنتيجة له مسبلة : تقدما حضاريا فى مستوى الإنسانية .. وأن التخلف فى
الحضارة المادية والصناعية يلازمه كذلك حتيا : التخلف فى الحضارة الإنسانية
أو تلازمه البدائية . ويستخلصون من ذلك : أن المجتمع أو الإنسان الفرد
صاحب الحضارة الصناعية هو مجتمع أو إنسان ذو تقدم أيضا فى المستوى
السلوكى الإنسانى ، وبالتالي يفضل ذلك الإنسان أو المجتمع الذى لم تكن له
هذه الحضارة المادية . وأزاء ما يستخلص على هذا النحو : تكون الريادة
لصاحب الحضارة المادية ، وتكون التبعية أو التقليد والمحاكاة له : من فاقده
هذه الحضارة .

وينسى هؤلاء الذين يقومون تحت اغراء التقدم الصناعى التكنولوجى ،
ويستخلصون بسبب وقوعهم تحت اغرائه منطقا حزبيا : أن مقياس الحضارة
الإنسانية هو فى مدى البعد عن الأنانية فى السلوك ، والمعاملة : نحو الذات ،
أو نحو الآخرين . والمنطق المجرد عن التأثر بالاغراء المادى أو بالاتجاذب الى

عامل غير موضوعي : ان صاحب الحضارة المادية هو صاحب ريادة حقاً في هذا الجانب من غير شك يجب أن يحاكي ويقلد فيه ممن هو متخلف فيه . وهو أيضاً يمكن أن يكون صاحب ريادة في الجانب الحضاري الانساني اذا توفر له بالفعل مستوى الحضارة الانسانية في البعد عن الانانية .

ولكن اذا كان هو يستخدم تفوقه في الحضارة المادية : الصناعية والتكنولوجية في التخريب والتدمير وسفك الدماء ، أو في الارهاب وقهر الآخرين وكراههم على ما لا يقبلونه مختارين وفي مشيئة حرة .. أو يستخدم هذا التفوق الحضاري الصناعي في استغلال الآخرين ، ويصبح بهذا التفوق ذا نزعة استعبادية ، لا يعرف الحق الا من طريق القوة المادية وحدها ، ولا يعترف للآخرين الضعفاء بحق الحياة في وجود مشترك ، فانه عندئذ يكون متخلفاً في الجانب الحضاري الانساني ، رغم تقدمه في الجانب الآخر الصناعي وبالتالي ليست لديه صلاحية : أن يكون رائداً ومتبوعاً في الجانب الانساني ، الذي هو ثمرة الوجدان ، والعمل الارادي ، وحسن الخلق والسلوك .

ولكن كذلك : اذا كانت بعض المجتمعات الحضارية حضارة صناعية تبني ممارسة اللواط في الوقت الحاضر ويتبنى القانون حماية هذا الشذوذ الجنسي بين شباب الجامعات في نواديهم الجامعية (١) .. أو يبيع تبادل الزوجات (٢) بين الأزواج في النوادي أو في المساكن الخاصة .. أو ينهي عهد الزواج وتكوين الأسرة على النحو المتعارف ويستعيز عن الزوج بأزواج ، وينسب الابن الى أمه بعد ما اختلطت الأنساب وضاعت بين الرجال العديدين فان هذا البعض من المجتمعات الحضارية الصناعية يفقد الصلاحية في المستوى الحضاري الانساني ويجعله مساوفاً للانسان البدائي في الغابات ، الذي لا يعرف ستر عورته ، ولا تخير المرأة التي يعاشرها .

* والمسلمون في حاضرهم يقلدون في خطواتهم الحضارية أصحاب التفوق في الحضارة المادية : العلمية والتكنولوجية . يقلدونهم في بصانهم . ويقلدونهم في أسلوب حياتهم . ويقلدونهم في سلوكهم نحو ذواتهم ، ونحو الآخرين معهم في مجتمعاتهم . أي أنهم يقلدونهم في جانب الحضارة : المادية الصناعية ، والانسانية السلوكية .

وتقليدهم للمتفوقين في الحضارة الصناعية اذن هو تقليد في تفكيرهم ، وفي علمهم التجريبي ، وفي وجدانهم ، واخيراً في عملهم الارادي وتصرفاتهم . ومعنى هذا التقليد المطلق لأصحاب التفوق الحضاري المادي : ان هؤلاء اذا كانوا مصطلحين ونفعيين أو « برجماتيين » .. واذا كانوا انتهازيين أو استغلاليين .. واذا كانوا استعماريين أو قراصنة : فان المصلحة ، والانتهازية ، والقرصنة لا ينكرها أولئك الذين يقلدونهم تقليداً مطلقاً ، لان هذه الاتجاهات هي اتجاهات سلوكية تقسوم على اثار الذات ، والانانية ، وعلى عدم رعاية حرمات الآخرين .

ومعنى هذا التقليد المطلق لأصحاب التفوق الحضاري المادي ، العلمي والصناعي ، من المسلمين : هو أن هؤلاء المسلمين اذا أفادهم التقليد في التقدم الصناعي والعلمي لزيادة قدراتهم على اجتياز المصاعب والمشاق في حياتهم ومعيشتهم ، فانه سيضرهم حتماً : تقليدهم في الجانب السلوكي

لأصحاب هذه الحضارة .. لأن المسلمين في حاضرهم يطلب عليهم الميل إلى الانساني بحكم ضعفهم الحضارة .. روابطهم العديدة المصادر — وهو ميل غير اسلامي أو هو ضد الاسلام — في روابط بعضهم مع بعض . وهم في نهضتهم وفي بعثهم للحياة الكريمة من جديد في حاجة إلى روح المشاركة والجماعة بينهم ، كي تكون لهم قدرة يدفعون بها التخلف في الجانب الحضاري المادي ذاته . فإذا بقي الميل إلى الانساني مسيطرا بينهم بجانب ضعف المستوى الحضاري الصناعي والعلمي لديهم فسيظلون ضعفاء .. ويظلون متخلفين في الحضارة بفهمها العلمي ، والانساني .

✽ والمسلمون لم يكونوا بدائيين عندما كونوا مجتمعهم الانساني . وانها كانوا أصحاب حضارة انسانية ، ثم أصبحوا — بعد حين — بالإضافة إلى ذلك : أصحاب حضارة فكرية ، وعلمية ، وإن لم يصبحوا بعد فيسما مضي أصحاب حضارة تكنولوجية بالمفهوم المعاصر .

كانوا أصحاب حضارة انسانية . لأن تكوين المجتمع الاسلامي ، ونقل افراده عن طريق الدعوة إلى الاسلام : من المجتمع الجاهلي ، وهو المجتمع المادي إلى الانساني .. إلى مجتمع انساني . صاحب روابط انسانية ، ومشارك مشاركة جماعية : هو في ذاته تحول حضاري وتحرك نحو الجانب الحضاري الانساني . فدعوة الاسلام هي دعوة عن التخلي عن الانانية ومظاهرها المختلفة التي تقوم على أساس منها : المجتمع المادي إلى الانساني أو الجاهلي .. هي دعوة في الوقت نفسه إلى قيام الروابط الانسانية على أساس من القيم الانسانية العليا وحدها . وهي تلك القيم التي تكون المستوى الفاضل للانسانية ، التي من بينها التعاطف ، والتواد ، والتعاون ، والتي من أجلها كان الميل الاجتماعي لدى الانسان في طبيعته ، ولتحقيقها كان المجتمع الانساني في وجوده . فالمجتمع الانساني ليس مجتمع عدد : في كثرة أو قلة . وانها هو مجتمع قيم انسانية يترابط الأفراد فيه على أساس منها . ومن أجل هذا الهدف في حياة الانسان اختلف الانسان عن الحيوان ، والنبات ، مع أن هناك جامعا مشتركا بين الثلاثة ، وهو النمو الكمي والمادي .

والقرآن يشير إلى هذا الجامع المشترك في بعض آياته . فيقول تعالى : « فاطر السموات والأرض ، جعل لكم من أنفسكم أزواجا ، ومن الأنعام أزواجا ، يذركم فيه » (أي يترككم وينبكم) « الشورى — ١١ » .. فيجعل هدف الزوجية من الذكورة والأنوثة في خلق الانسان والحيوان هو الكثرة والنمو المادي . ويقول أيضا : « سبحانه الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ، ومن أنفسهم ، ومما لا يعلمون » (يس — ٣٦) .. فيشير إلى عامل الكثرة والنمو المشترك بين النبات ، والانسان ، وما لا يعلمه الانسان مما يتكاثر في ملكوته سبحانه وتعالى .

ثم يفرد القرآن : الانسان بهدف آخر وراء النمو والتكاثر ، واسمى منه . وهو هدف المجتمع الانساني من تحقيق القيم العليا في روابط الأفراد بين بعضهم بعضا . فيقول جللت قدرته : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة ، أن في ذلك لآيات لقوم يفتكرون » (الروم — ٢١) . فيحدد هذا الهدف الآخر بأنه السكنى والاطمئنان

يفتكرون » (الروم — ٢١) . فيحدد هذا الهدف الآخر بأنه السكنى والاطمئنان

والمودة ، والرحمة ، في العلاقات بين الأفراد . وهذه القيم العليا الثلاث تلتقى عندها جميع القيم الأخرى . فهي المصباح الذي تصب فيه كل قيمة عليا انسانية . بالتعاون ، والتضامن ، والكرامة البشرية ، والحرية الإنسانية ، والأخوة .. وغيرها إذا تحققت تحقق الاطمئنان ، وتحققت المودة ، وتحققت الرحمة كلها بين الأفراد .

والقرآن يفرد هذا الهدف الإنساني للمجتمع الإنساني ، بهد أن افراد أيضا بتعبير خاص الغاية المشتركة في خلق الإنسان ، بينه وبين الحيوان ، والنبات ، وهي غاية التكاثر والنمو ، في قوله : « **والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا ، وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة** » (النحل ٧٢) . . حتى لا تلتبس إحدى الغايتين بالأخرى ، وحتى إذا ما حقق الإنسان غاية النمو والتكاثر وحدها ، دون الغاية الأخرى : يبقى الإنسان في الدائرة المشتركة بينه وبين الحيوان والنبات — وحدها . وعندئذ لا يتميز عنها بميزته الإنسانية ، وهي ميزة اجتماعية ، أي ميزة تكوين المجتمع وتحقيق أهدافه .

فتكوين المجتمع الإسلامي القائم على توجيه القرآن هو تكوين تصحبه ظواهر الحضارة في جانبها الإنساني . والجاهليون أو الماديون الذين انتقلوا إلى المجتمع الإسلامي يومذاك ، استجابة للدعوة الإسلامية ، انتقلوا إليه مؤمنين بهدمه . وهو تحقيق القيم الإنسانية في علاقة بعضهم ببعض . وهي قيم حضارية ، تبطل الجانب الحضاري الإنساني .

فدعوة الإسلام هي دعوة إلى تهذيب الوجدان في الإنسان وجعله في خدمة التعاطف ، والنواد ، والتعاون . والتهاسك . ودعوة إلى تنمية العمل الإرادي وجعله في خدمة السلوك السوي ، والسلوك الإنساني الكريم ، بعيدا عن الأغراء بالمنع المادية والوقوع تحت ما يشتهي منها .

أن المجتمع المادي يكون مجتمعا ذا طابع أسري ، أو قبلي ، أو عنصري ، لأن الرباط بين افراده آنئذ هو رباط مادي ينبثق من الأسرة ، أو القبيلة ، أو العنصر والعرق . والمجتمع الإنساني هو ما يسمى الترابط فيه إلى مستوى القيم الإنسانية وحدها . والقرآن يمتن على المؤمنين به في قوله تعالى :

« **ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم . يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ، ولا تموتن الا وانتم مسلمون . واعتصموا بحبل الله جميعا ، ولا تفرقوا ، والذكور اعنت الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها** » (آل عمران ١٠١)

(١٠٣) : يمتن عليهم بأنه نقلهم بآياتهم بالله وحده وبهدياته في كتابه من دائرة القبيلة التي كانت مثارا للفرقة والخصومة — وهي دائرة مادية — إلى محيط الإنسانية وقيمتها ، وهو محيط يشمل الناس جميعا . وبذلك تبتعد الفرقة فيه ، كما تبتعد الخصومة ، ومحيط الإنسانية محيط غير مادي . لأنه فوق الروابط التي تقوم على أساسها التكتلات المحدودة بالمكان ، أو العنصر . ومن هنا كانت الدعوة الإسلامية دعوة إلى الإنسانية ، فوق الروابط المادية .

والمجتمع الذي يدعو إليه الإسلام هو مجتمع إنساني يقوم اذن على الروابط الإنسانية وحدها . والروابط الإنسانية وما يحققها : جانب حضاري للإنسان ، يقابل الجانب الآخر المادي له ، وهو الجانب العلمي والصناعي .

وهذا الجانب الحضارى الانسانى أُوصل المسلمين فيما بعد الى أن يكونوا أصحاب حضارة علمية وفكرية يوم نقدوا الفكر الاغريقى فى وثنيته ، فى الوقت الذى أضافوا فيه الى معارف الاغريق الطبيعية والرياضية ، ما جعل من الجانبين - الاغريقى ، والاسلامى - مصدرا للبعث والنهضة العلمية فى أوربا ، تلك النهضة التى أتت بهذا التقدم الصناعى والعلمى المتفوق : للمجتمعات الغربية المتطورة فى حاضر المسلمين اليوم .

✽ ومسلمو اليوم انفكوا عن الارتباط بهدف المجتمع الاسلامى ، فى دائرة التعاون ، والتضامن ، والتآخى . وانحدروا الى خصيصية المجتمع المادى ، أو المجتمع الجاهلى . وهى خصيصية الانانية والحركة فى دائرة الذات وحدها وآثروا الترابط على أساس المنفعة المتبادلة .. أو أساس العرق والعنصرية .. أو أساس نظام الحكم الدخيل المشترك .. أو أساس وحدة التبعية للأجنبى عنهم . وبذلك يعيشون فى تخلف فى الجانب الحضارى الانسانى ، كما تعيش الآن لفترة ما : تلك المجتمعات المادية المتطورة تطورا صناعيا فى دائرة الذات ، بعيدة عن المستوى الانسانى الحضارى الذى يتم على أساس من القيم الانسانية العليا .

وإذا كان تخلف المسلمين فى الجانب الحضارى المادى أو الجانب العلمى والتكنولوجيا يمكن أن يتجاوزوه بتقليدهم للمجتمعات الصناعية العلمية ، ونقلهم من تجاربها ، ومن منهاجها وسبلها فى البحث والتطبيق : فتخلفهم فى الجانب الحضارى الانسانى لا ينفعهم فى تخطيه : اتباع مبدأ الفصل بين الدين والدولة ، كما ينصح المجددون بينهم .. ولا استيراد نظام مادى يقوم على أساسه الحكم ، كما يروجه فيهم بعض المشتغلين بالسياسة . كما لا يعوض التخلف فى هذا الجانب لديهم : جدهم - لوجدوا - فى نقل الحضارة الصناعية العلمية ، والتوسع فى هذا النقل الى أبعد حد . لأن الصناعة اذا كانت ركنا من أركان الحضارة ، فمستوى الانسان هو الركن الآخر أو الأول فيها . وطالما لا يكون هو متحضرا فى مستواه الانسانى فلا ضمان لبقاء حضارته الصناعية والعلمية . وبقاء المجتمعات الصناعية العلمية المعاصرة الآن هو بقاء مؤقت ، بعد ما اتحدت الى المادية وسيطرت مظاهر الجاهلية فى المستوى الانسانى على علاقات بعضها ببعض ، وعلى الروابط بين الأفراد فيها .

وبعد حين - طال الزمن أو قصر - ستصطدم هذه المجتمعات المعاصرة بعضها ببعض . لأن المنافع المادية ستغرق حتما بينها . كما اصطدمت فى الحربين العالميتين : الاولى ، والثانية . وقد كان التنازع على المواد الأولية أو الحصول على قسط منها هو السبب الحقيقى الذى أدى اليهما . وسياسة : « الوفاق » فى الوقت الراهن هى سياسة مصطنعة ، وهى سياسة مؤقتة كذلك .. هى أشبه بهدنة للتمكن من الاستعداد للحرب الثالثة القادمة . وهى حرب لا مفر منها : اليوم .. أو غدا .

✽ والمسلمون فى مجتمعاتهم المعاصرة اذا أرادوا حقا اجتياز التخلف الحضارى : الصناعى العلمى ، والانسانى ، معا : يجب أن يسلكوا نفس التجربة التى خطت لها الدعوة الاسلامية . أى يجب أن ينتقلوا من الوضع الجاهلى أو الوضع المادى الانانى .. الى الوضع الانسانى . يجب أن تقوم

الروابط بينهم على أساس من الأخوة في الإيمان بالله وحده .. وأن يبتعدوا عن الانحراف في استغلال المال وبالأخص عن الربا .. وأن يخطوا ملكية المال الخاصة سبيلا إلى المنفعة العامة ، ينتفع به المالك وغير المالك له من أصحاب الحاجة على السواء ، دون أن يقصروا منفعتهم على المالك وحده فبعض في الترف ، بينما تأخذ الحاجة برقاب غير المالكين له .. وأن يتجنبوا الجرائم الاجتماعية ، وهي جرائم الاعتداء على الأعراض ، والأموال ، والنفوس .. وأن يوفروا الكرامة البشرية والاعتبار البشري للضعفاء بينهم .. إلى غير ذلك مما تخطه الدعوة الإسلامية في منهج تطوير المجتمع (٣) .

فالمسلمون المعاصرون في حاجة إلى نقل أنفسهم من وضع الجاهليين الأنانيين .. إلى وضع الإنسانيين السذجن يستهدفون تحقيق القيم العليا الإنسانية في سلوكهم ، ومعاملاتهم ، ومواقفهم ، وفي ترابطهم : قبل نقلهم المصانع والتجارب العلمية الطبيعية ، أو معها على الأقل ، حتى يمكنهم أن يسخروا طاقات المصانع ونتائج التجارب العلمية في سبيل قوتهم وبقائهم .. وحتى يمكنهم بالتالي ، أن يضيفوا إلى الصناعة والتجارب العلمية جديدا إليها إذا استوعبوها ، كما صنع أسلافهم من قبل ، يوم أن أضافوا إلى الفكر الإغريقي : أفكارا إسلاميا جديدا ، أعطاهم الصلاحية لأن يكون مصدر النهضة الأوربية الحديثة ، ثم المعاصرة .

ولعل التحرك الإسلامي الحاضر ، نحو تأسيس بنك إسلامي .. ومشروعات للتنمية في البلاد الإسلامية .. ونحو مؤتمر لوزراء الاقتصاد في هذه البلاد .. ونحو مؤتمر قمة إسلامي لبعث التضامن الإسلامي كجزء في السياسة الإسلامية المعاصرة : يكون تعبيرا عن الرغبة الأكيدة نحو الانتقال إلى الوضع الإسلامي ، كما تنشده دعوة المصطفى محمد عليه الصلاة والسلام . ولعل ذكرى ميلاد هذا الرسول الكريم صاحب الإعجاز بأمره ، وبموضوعية كتابه : تثير من هام إلى عام وعيا أقوى نحو خروج المسلمين من ظلمهم الحاضر إلى المستوى الحضاري الإنساني ، فالمستوى الصناعي العلمي فالحياة الإنسانية الكريمة التي تستمر فيها الآلة والعلم لخدمة الإنسان ، وليس الإنسان للآلة وللتجارب العلمية .

(١) حكم القاضي الاتحادي Huge Bownes بولاية New Hamp Chire من الولايات الأمريكية في القضية التي رفعها منظمة طلاب البتعة ضد الجامعة هناك بأن مجموعة الطلاب التي تمارس ملة الأوطاء لها الحقوق الكاملة في ممارسة هذه البتعة في منطقة الجامعة ، طبقا للتعديل الأول الرابع عشر . ونشر هذا الحكم في الصفحة الثالثة في عدد ٢٨/٣٠٧ من صحيفة Herald Tribune بتاريخ ١٨ يناير سنة ١٩٧٤ .

(٢) كما هو شائع الآن في المجتمعات الغربية المادية .
(٣) كتاب منهج القرآن في تطوير المجتمع - وهو من مؤلفاتنا ، طبع دار الفكر ببيروت - يحاول توسيع نقل المجتمع المادي إلى مجتمع إسلامي أو إنساني وتحديد المراحل التي يندرج بالتدريج بالظواهر المادية في المجتمع المادي .. حتى مرحلة الأبر بما يحقق المستوى الإنساني للفرد والمجتمع .

من عيد الهجرة إلى



للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

لا شيء .. لقد أقبل اليوم وسر
كما يمر أي آخر دون أن يأبه به أحد .
ولقد طلعت شمسها ، ثم ارتفعت ، ثم
استوت في قبة السماء ، ثم دلفت إلى
مخربها وقابت فيه ، وليس في الناس
من يحفل بها ، أو يلتفت إلى عظيم ما
تحمله من تاريخ ، أو يستهذي
بشعاعها إلى غابر مجد لهذه الأمة
سجدت له الدنيا كلها ذات يوم !! ..
وهكذا دخل اليوم الأول من هـام
هجري جديد ، دخول اليتيم إلى دار
لا مشيرة له فيها ولا أهل . ولكنه
هنا يتيم بين أهله ، وغريب بين
قومه ومشيرته .
وقبل ذلك بشهر أو أقل ، دخلت

يوم الخميس ١ محرم عام ١٣٩٤
كان يوما ثقيلا ينوء بحمل تاريخ كبير
من أمجاد هذه الأمة .
يوم يحفل ينبوع وجودها ، وسر
أمجادها ، ومبعث عزتها ، وروح
وحدتها ! ..
كان يوما ارتسم على شمسها الباب
العظيم الذي دخلت منه هذه الأمة إلى
التاريخ ثم تبوأ عرشه ، وقد كانت
قبل ذلك ملقاة على هامشه ، شاردة
 وراء سورة ! .. ذلك لأنه كان يوم
الهجرة ! ..
فكيف استقبله المسلمون عندنا ؟
وكيف احتلوا به ، وكيف أكرموا
مقدمه ؟

أجنادكم ، ومنفسد سلطانكم —
فتمرضوا منه هذا الاعراض وتنسوه
هذا النسيان ؟

أمن الحتم عليكم — وقد فرغتم
انفسكم لوظيفة التقليد — ان لا تعرفوا
لعابكم الهجرى معناه وان لا تؤدوه
حقه ، الا بعد ان يسبقكم الى ذلك
اولئك الاسياد ، فيحتفلوا به لكسم
ويؤدوا حقوقه عنكم ، فثقلوا مثله
بدوركهم تقليدا ، وتنهجوا نهجهم
محاكاة واتباعا ؟ ..

أم هل من الحتم اذا قام الخطباء
فى مساجدهم يذكرون بهذا اليوم
وخطورته وينبهون الناس والمسؤولين
الى حقوق هذا اليوم والقيام بواجباته
أن يظهر من أعراض الناس منهم ما
يصبح تكذيبا لهذا الحق ، وعقوبا
لهذا اليوم ، وكفرانا لفضله وجهيل
ايباده ؟

يا هؤلاء الناس ! .. من انتم ، بل
ما انتم لولا الهجرة ؟
أى اسم كان يفكر لكم فى العالم ،
أم أى وطن كان يحويكم ، أم أى ارض
كانت تقلكم أم أى حضارة كانت تنتسب
اليكم ، لو لم تكن الهجرة ؟ ..

هل كنتم تعرفون اسم الشام التى
تغزونها بأجنادها ، أو العراق التى
تتباهون بحضارتها أو مصر التى
تعتزون بقرائنها ، بل هل كانت لكم
فلسطين تذودون عنها ، أو سروره
تخيفون العالم بسلاحها لو لم يبعث
فيكم هذا النبى الامى القرشى ، ولو
لم ينفذ امر ربه فيهاجر الأرض فى
سبيل المبدأ ، ويترك الوطن فى سبيل
المقيدة ، ولو لم يجعل الله له من
أرض هجرته (المدينة) مطلقا الى
شرق العالم وغربيه وشماله
وجنوبه ؟ ..

ماذا تقولون فدا لعلام الغيوب ،
اذا اخذكم بجريرة هذا النكران ، ثم

اجرامى الكنائس واحتلالها ببصوت
المسلمين كلهم ، وسمعوا ذلك كلسه
طوعا او كرها ! .. وازينت الاسواق
وزخرمت الحوانيت والمحال التجارية
بالاضضاء الملوثة واشجسار
(الكريسمس) واغرقت واجهاتها
بالقطن الذى صبغت منه عبارات ،
وشكلت به شعارات ، تماما كما هو
الشان فى أى سوق من أسواق
أوروبا ! .. وتجلت هذه الصورة
ذاتها لأمى الاندية والملاهي العامة
فقط ، بل تجاوزتها الى داخل كثير
من البيوتات الاسلامية العريقة ! ..
حيث احتلت الاسر وتجمع أفرادها
— على الطريقة الأوروبية ذاتها —
فى سهر صاخب الى مطلع الفجر ..
كل ذلك ، احتفالا بقدم عام
ميلادى جديد ! ..

ويأتى بعد ذلك يوم الهجرة ، بكل
ما يحمله من ذكريات ، وبكل ما سجل
فيه من تاريخ وعز ، فلا يرتفع له
شعار ، ولا تبتهج به دار ، ولا تحس
به فى سوق ، ولا تسبح عنه نسي
اذاعة أو نحوها ! ! ..

الا يا حسرتنا على الأمة التى لم
يكن يعرف عز الارض الابها ،
فأصبحت وذل الارض لا يعرف الا
بها . أمة لا تقاسى الهوان ولكن
تتمسقه ، ولا تعانى من الأذل بل
تستريح اليه ، ولا تبلى بالضيم وانما
ترحب به ! ..

يا هؤلاء الناس ! .. ما الذى
نفعمكم مما يقمله المستعمرون فى
افتتاحات أمواهم الميلادية فتقدمهم
فى ذلك أتم تقليد وتسبقوهم فى
الابتهاج بها والصخب من حولها ،
وصبح بيوتكم واذاعاتكم بشعاراتها
وايحائها ؟ .. وما الذى ضربكم من
تاريخكم ورأس عامكم الهجرى —
وانما هو عنوان وجودكم ، ومصرح

فعلوا في استقبالهم لهذه الفكري ،
فان جميع ما يفعلونه لن يقع مؤتمتع
القبول من صاحب الفكري محمد عليه
الصلاة والسلام .

ان الامة التي تصدق في احتفائها
بمولد نبيها محمد صلى الله عليه
وسلم ، لا تذهب هذا المذهب
المجيب في احتفالاتها التقليدية برأس
السنة الميلادية . وقد علمت جيدا
انها لا تسترضي بذلك قلب عيسى
عليه الصلاة والسلام ، وانما
تسترضي به نظرة اجنبية الى هذه
الامة . . . نظرة ترى بشر من الحد
على دينها وغابر عزا وامجادها . . .
نظرة لا تقوم الدنيا الا من خلال
الاحقرين : متعة الفسرج وبتعة
البطن . . .

فقالوا تكن صادقين — يا مسلمون
— في احتفالتنا بذكرى مولد نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم هذه المرة .
ولنفسر صدقنا هذا بسلوك يسبح
عنا ماضي آتائنا ويرضى رسول
الله صلى الله عليه وسلم هنا .
ان مواطننا الاسلامي — والله
الحمد — قد غدت مشبوبة وباضجة
وما رايتها في عهد من العهود اتضح
منها اليوم .

ان كلا من ظروف الحرب والسلام ،
وموقف الدول الاجنبية — صديقة
ومعدة — منا ، وعمر الحياة التي
نراها من حولنا والمآسى التي لاحقتنا
يوم ابتعدنا عن حبي اسلامنا — كل
ذلك قد اورثنا يقينا لا يتزعزع بان
الاسلام من حياتنا كالروح من الجسد
وكالماء البارد من الكبد الحصى . .
وبان مشكلاتنا على اختلافها — لا
يمحقها الا الاسلام مقيدة اولا ونظاما
واخلاقا ثانيا .

وقد ولي العصر الذي كان يتجمل
فيه بعض الناس بالاحاد ، ويجاهر

أخذك بجزيرة تقليد لا فائدة فيه
وابتاع لا حكمة من ورائها . . .

اولادكم يا مسلمون . . يستيقظون
من طفولتهم الصغرى على الطنين
والرنين اللذين تعج بهما ليلة رأس
السنة الميلادية ، يرتضعون منكم لسان
عادتها وتقاليدها ، وتفيض اذانهم
بأحاديث المعلمين من أفراد الأسرة
وغيرهم على نهاية العام الماضي . .
وبداية العام الجديد ، والتفليح
المستوردة لتوديع ذاك واستقبال
هذا . . . حتى اذا بلغ الطفل أشده
استحكمت الصورة في افوار نفسه
وانصبع بها عقلا وطبعا ووجدانها ،
وتها له — مما غذي به — أن أيام
السنة ان هي الا دائرة مغلقة
متناسكة ، لا ينتهي ذيلها الا عند
راسها الوحيد : أول كانون الثاني
حيث رأس السنة الميلادية . . .

اما الهجرة والحديث عنها ، فكلام
كالطيف كان يردد الاجداد . . . واما
مكانتها من دائرة العام وأيله ، فقد
على عليه الصدا والقدم ، ولم يبق منه
الا رمز كالظل ، وأشبه ما يكون
بشارة على قبر مهجور ربما ذكر بعض
المعبرين بقراءة الفاتحة . . .

أفيسمذكم يا مسلمون أن تريوا
اولادكم على هذا النهج . . .
أفلا يورق لكم بالآ ، أن تقبلوا الى
الله فدا تحلون أوزار هذه التربية
على ظهوركم عذابا من الله وتكالا . . .

● ● ●
اكتب هذا الكلام ، وان ذكرى مولد
رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
تلوح لي من بعيد ، ولعل كلامي هذا
لن ينشر الا والمسلمون في انحاء
عالمهم الاسلامي يستقبلونها ،
وينصرفون الى الاحتفاء بها والاحتفال
لها .

ولكني أعتقد أن المسلمين مهما

وقد انتسبنا الى هزسه به اعضاء
عالمين لا اثناسا تقليديين .
انكم لتكثرون الكلام في هذه الايام
من الجهاد ، وتسمعون عنه كثيرا ،
ولكن اعلوا ان اهم جهاد يستنصر
له الاسلام المسلمين جميعا ، في هذا
المصر ، انها هو جهاد الدعوة الى
الاسلام والتعريف به ، بقلب متحرق
صادق لله عز وجل .

ولست اعنى ان قتال العدو الذي
يستحل ارضنا ياتي في الدرجة الثانية
من هذا الجهاد ، او انه ينبغي ان
يؤخر الى ما بعد قيام المسلمين بواجب
الدعوة الى الاسلام ، لا . . . ليس
هكذا . فان العدو الجاثم في ارضنا
صائل ومقاومة الصائل واجب مستقل
بذاته ، يكلف به المسلمون بقطع
النظر عن الجهاد الذي نتحدث عنه .
فاذا خرج العدو من ديارنا ، فبان
ملاحظته بعد ذلك بالدعوة الى الاسلام
والقتال في سبيلها ، هو الجهاد .

ان القاعدة العريضة الكبرى التي
يجب ان ينطلق منها المسلمون جميعا ،
للجهاد في سبيل الله اليوم ، انها هي
جهاد الدعوة الى الاسلام على شتى
المستويات وبكل الطرق والاساليب
ولكن بالحكمة والموعظة الحسنة .

ولو نهض المسلمون اليوم ، أو أكثرهم
أو كثرة عظيمة منهم ، بهذا الجهاد ،
لا يبتغون الا وجه ربهم ، لا يسوقون
امالهم عصبية أو غرضا أو ضغينة
لفتح الله على ايديهم وبالسنة آلاف
القلوب الموصدة ، ولرايت للمسلمين
مجتمعا اسلاميا سليما غير هذا
الذي تراه اليوم .

ولكن آفة المسلمين أحد بلايين ،
بل كلاهما معا . . .

آفة المسلمين أنهم أحد رجلين :
رجل يتقلب في نعيم دنياه منصرفا عن
الاسلام وشأنه ، لا يبالي بالمصير

بالفسوق والكفران . انها اليسوم
(موضة) قديمة ، وتقليدية بائدة .

ان ملاحدة الامس ، يتنامسون في
عرض عظيمة الاسلام اليوم . . .

وان الدنيا كلها قد غلبت ان
الاحاد ليس الا ظاهرة مرضية ،
تتسلل الى الفكر بواسطة جرثومة
من أهواء النفس ، أو عقدها ، أو
عصبيتها ، أو ردود فعلها . . . وليس
بعد الاسلام من ملجأ لاي فكر حر ،
بعد ان تخلص من وباء الاحاد .

واذا فمما جهودكم اليسوم

يا مسلمون ؟ . . . يا مسلمون : علماء

ومثقفين ومدرسين وعمالا وموظفين ؟

كيف تستقبلون مولد نبيكم محمد

صلى الله عليه وسلم ، من سجن هذا

الجمود ، وقد علمتم ان ميراثه الوحيد

الذي وضعه في امانتكم انما هو

النهوض بأعباء الدعوة الى الله ؟ . .

أو لا تزالون تعيشون في تلافيف

تلك الضلالة التي تزمع على السنة

كثير من الجهال بان للاسلام (رجال

دين) هم المسؤولون عن الدفاع عنه

إذا هوجم ، وعن أحيائه إذا ذبح ،

ومن إعادة تشييده إذا هدم ، وإن

غيرهم ليسوا الا نظارة يتخذون

امكانهم أمام المسرح ؟ . . .

لقد أن لنا ، جميعا ، ان نستغفر

الله من هذه الضلالة البشعة ، وأن

نقف خاضعين خاشعين أمام قول الله

عز وجل :

«ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله

وعمل صالحا وقال اننى من

المسلمين» .

ثم امام قول رسول الله محمد عليه

الصلاة والسلام : « كلكم راع وكلكم

مسؤول عن رعيته » .

ثم ان نبسط ايماننا صادقة الى الله

عز وجل نبايعه بها على أن نكون —

كان في تلك السخرية جرح
لشخصيته الدينية .

وأية ذلك أنه لو كان متجردا عن
هذا المظهر ، لم بذلك الفاسق غير
مكرر به ولا ملتفت إليه ، ولما حرك
العصيان أو السخرية لديه أي غيرة
أو هياج .

وأنما يجبس الفاسق في عسقه
على الأقلب - أنانية أو عصبية
تستفحل بين جوانحه ، فلا يتأثر
بتذكير ناصح ولا بتوبيخ واضع .
والشيء الوحيد الذي يملك أذابة
هذه العصبية والأنانية فيه ، أن يشعر
شعورا واضحا بتجرد الإنسان الذي
ينصحه ويذكره ، وأن يقتنع بأنه لا
يستهدف من نصيحته استعلاء عليه ،
أو تظليا ، أو تقوية لعصبية أو
عصبية . وأنه إنما يكلمه من مستوى
الحب له والشفقة عليه .

فإن زاد الداعي إلى ذلك أن راح
يقابل الإيذاء بالصفع ، والسخرية
بالرؤى ، واستدبر حظ نفسه
والانتصار لذاته ، فإن ذلك من شأنه
أن يوقظ كوامن الانسانية عند الطرف
الأخر ، ويحيى في فكره موضوعية
البحث والنظر .

وجل القائل في محكم كتابه لنبيه
محمد صلى الله عليه وسلم عن
المنافقين الذين كانوا يستقبلون دعوة
الاسلام بأهواء نفوسهم بدلا من أفكار
مقولهم - : « فبما رحمة من الله لنت
لهم ، ولو كنت ظفرا غليظا لقلب
لأنفوسنا من حولك ، فاعف عنهم
واستغفر لهم وشاورهم في الأمر » .
وانظر كيف طبق الرسول وصية
ربه جل جلاله ، يوم بلغه قول رأس
المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول في
غزوة الريدية عن الرسول
والمهاجرين : قد نافرنا وكاثرونا في
دارنا ، والله ما أعدنا وجلايب قريش
« قصد المسلمين » إلا كما قالوا

الذي ينتهي إليه . وآخر يدعو إلى
الله والاسلام بزعمه ، ولكن يسلاح
من عصبية وكبريائه ، ويساقى من
حقد متيكن وراء صدره ! .. وقليل
جدد في المسلمين من ينهض بواجب
الدعوة إلى الله دون أن يخلط بذلك
حظ نفسه ودائع عصبية .

وما السر في أن أكثر المنصرمين عن
الاسلام لا يلتفتون إلى دعوة الداعمين
إليه ولا يتأثرون بكلامهم ؟ ..
السر أن أكثر هؤلاء الدعاة قد
أصبح مظهر الدين جزءا من
شخصياتهم وأصبحت مظاهر الاسلام
من مقومات ذاتيتهم ، فتراهم يدافعون
عن هذه المظاهر من حيث يدافعون عن
شخصيتهم ومن حيث يدفون عن
ذاتيتهم وكرامتهم . ويحس الآخرون
بهذا ، فتستيقظ عوامل العصبية في
نفوسهم ، ويثوم من ذلك حاجز يحول
دون وصول كلمة الحق صافية إلى
أفكارهم .

وأنه لمنزلق خطير ما ينبغي أن يقع
فيه المسلم إذا يدعو إلى الاسلام ،
وأنما يترفع عن الانزلاق فيه بالتنبه
الدائم إلى حقيقتين عظيمتين :

الأولى : كراهية معصية العاصي
لا كراهية شخصه ، فإن كراهية
الشخص من حيث ذاته قد يأساه
الاسلام وينهى عنه . وما ينهى
الإنسان عن فسوق أو عصيان أو كفر
إلا شفقة على المتلبس به .
الثانية : أن لا يخلط الإنسان بين
دايع الانتصار لربه والانتصار لذاته ،
وما أدق الفرق بينهما لأن لا يكون دائم
الرقابة على نفسه .

رب رجل ذي مظهر ديني يقابله
بعض الفاسقين يتصرف ساخر من
الدين ، فيأخذه الهياج ويملكه
الغضب ، وربا بطش به وضربه ..
وهو لو تأمل فيما قد دفعه إلى ذلك
لرأى أنه حجب الانتصار لشخصه ، إذ

نحن نرزقك والعاقبة للتقوى» .
 ووظيفتنا نحن معشر العبيد لله ،
 النهوض بالدعوة الى دينه في بيوتنا
 ومدارسنا وجامعاتنا وساحلنا
 ووظائفنا واسواقنا ، وبين زملاننا
 واصدقائنا ، لا نقيم محبة أو صداقة
 مع انسان الا على اساس الدعوة الى
 الله ، ولا نكره أو نبغض انسانا الا في
 سبيل الله .

لا نحقد .. لأن الحقد دخان
 لنيران الانتقام الشخصي ،
 وشخصياتنا دائية لا وجود لها في
 طريق الدعوة الى الله .

لا نتحاز لمصيبة .. لأن المصيبة
 مظهر لاثنية الجماعة ، ولا اثنية
 فردية أو جماعية في بوتقة العبودية
 المطلقة لله .

لا نطبع في دنيا أو مصلحة ..
 لقد كنا مالكا الملك كله ، كل طمع
 ميم دونه ..

تطلب سعينا كله في الدنيا هو
 البحث عن الحقيقة .. الحقيقة
 الكبرى التي تندرج في تضاعيفها
 حقائق الدنيا أجمع . فإذا اهتمنا اليها
 فإن من حق الأسرة الإنسانية كلها
 علينا أن نعرض لها سبيل هذه
 الحقيقة . وخيانة كبرى أن يهتدي
 أحد الأخوين الى الطريق السليم ،
 فينحط فيه معرضا عن أخيه الذي
 أسلم نفسه لمناهة توصله الى
 الهلاك .

هذه وظيفتنا جميعا .
 فإن نحن تمنا بها ، كان ذلك خيرا
 إحياء لذكرى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ، وكان ذلك أقصر سبيل
 لنصر متكامل قريب ، ومجد صادق لا
 يقال منه عدو ، وقوة تخيف منكم
 الدنيا كلها .
 يأتيكم ذلك كله وأكثر .. من حيث
 لا تحسبون .

سمن كلبك يأكلك ، أما والله لئن
 رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعرس منها
 الأذل ! ..

وحسب بعض الصحابة أن النبي
 صلى الله عليه وسلم قتله .. وقال
 له عمر رضى الله عنه : إلا أضرب
 عنقه يا رسول الله ؟ .. وجاء عبيد
 الله بن عبد الله بن أبي بن سلول يقول
 لرسول الله صلى الله عليه وسلم :
 بلغنى يا رسول الله أنك تريد قتل
 أبى ، فإن كنت لا بد فاعلا فمرنى أنا
 أحمل اليك رأسه ! ..

ولكن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم أبى أن يسه بأذى وقال
 لابنه : بل نفرق به ونحسن صحبته ما
 بقى معنا .

لقد كان من آثار هذا الموقف من
 النبي عليه الصلاة والسلام ، أن أنفض
 عن ابن سلول كثير من توبه
 وجماعته ، فكان إذا حدثهم بحديث من
 المسلمين بادروه بالمعارضة والتعنيف ،
 ولقد قال عليه الصلاة والسلام لمر
 رضى الله عنه بعد ذلك :
 كيف ترى يا عمر ؟ .. أما والله لو
 قتلت يوم قلت أقتله لأرمدت له آف ،
 لو أبرتها اليوم بقتله لقتلته ..

يا مسلمون .. لقد آن لنا أن
 نستيقظ الى حقيقة الدنيا التي من
 حولنا ، وأن يتعرف كل منا على
 هويته :

إننا عبيد أذلاء ، مهتر أمانتنا
 بختم العبودية لله عز وجل .
 إننا جميعا موظفون .. ولكن نسي
 ديوان الله عز وجل .
 لننهض جميعا بالوظيفة التي كلنا
 بها سيدنا .. ولا يهمنكم رزق ولا
 مال فإن سيحكم قد ضمن لكم ذلك
 كله ، أن أنتم تهم بمسؤولياتكم
 الوظيفية تجاهه : « لا نسالك رزقا

عَصَمَةُ النَّبِيِّ

أثبتت دعائم الأمن والثقة بالوحي

الدكتور وهبه الزحيلي

لست عادة ممن يكتبون في الموضوعات التقليدية القديمة ، ولا من الذين يرددون مكرور القول المعاد ، أو محاكاة الغير والنقل عنهم ، إلا فيما يتعلق بالباديء والأصول الثابتة ، فهذه حق مشاع للجميع ، وتركه غالبية الثمن نحفظ بها في صميم القلب والروح ، ومنطلق أساسي لسكل محاولة تجديد بمعناه الصحيح ، وليس بمعناه القوضي الذي يريد دعاة التخلص من كل قديم بغيا وعدوانا لاحقا وانصافا ، وإنما هو المستند إلى القديم النافع ، والمبدأ الأصل الذي لا يتغير شأن القرآن والسنة النبوية وما ضما بين جناحيهما من أصول القيم والفضائل التي حددت مقاصد التشريع وأبانت غايته ومراميها العامة .

وعصبة الانبياء ، وإن كان الكلام فيها قديما ، إلا أنها مبدأ متجسد ومائل في ذهن وعقيدة كل مؤمن بالرسالات الإلهية صباح مساء ، ليل نهار . وقد حركتني دواعي معينة للكتابة في هذا الموضوع ، منها : ما نرى ونلمس في الأوساط الكتابية الصحفية والتأليفية ، وغير الكتابية مما يتردد على السنة الناس هوسا وغوغائية من رصف واسباغ أوصاف مغالي فيها أما لبعض الزعماء والقادة الذين ينتصرون في معركة حربية أو ثقافية ، أو ينجحون في وضع خطة سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية ، وأما لبعض العلماء الذين يبتكرون اختراعا هاما ، فيجعلهم عامة الناس أشبه بالاله

أو النبي المعصوم : « أن هي إلا أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان » .

ويما أن المؤمن بباعث إيمانه حريص على معرفة حقائق الاسماء والمسميات ، مسئول عن كل كلمة يتقوه بها ، فهو مطالب بمعرفة الفرق الواضح بين ما له صفة القداسة بمعناها الحق ، وبين ما هو عرضة للخطأ والانحراف ، وإن أصاب أحيانا ، سواء أكان المصيب حاكما ذا سلطان قاهر ، أو عالما ذا باع واسع في ميدان العلوم .

أما صفة القداسة المطلقة فلا تكون إلا للاله الواحد خالق الأكوان ، لا للآلهة المزعومة ، ويقترب من صفة القداسة نسبيا النبي أو الرسول المبلغ عن الاله وحيه وأحكامه وشرائعه . فضماتنا لصحة التبليغ وأمانة الوحي لا بد من توفر ما يعرف بالمصبة لكل نبي في تبليغ الوحي الإلهي وما تقتضيه الرسالة ، وفيما يضمن له النجاح في أداء مهمته بتوفير السلامة والأمن والصون من أذى الناس .

فالعصبة إذا هي أوطد صمام أمان في وصول الشرع السماوي سليما لبنى البشر ، وآمن وسيلة لتوفير الثقة والصحة والأمن من التبديل والتصديق بضمون رسالة الأنبياء عليهم السلام ، كاملة غير منقوصة .

ثم إن معجزة العصبة هي أول الأصول التي تساعد النبي أو الرسول في اظهار معجزاته المادية والمعنوية الخارقة لغائون العادة والقدرة المألوفة ، والدالة على صدق رسالته المؤيدة لأدعائه النبوة من قبل الله تعالى .

ويجدر الكلام عن العصبة بمفهومها السابقين : عصبة التبليغ ، والعصبة من الناس ، وذلك بتحديد معنى العصبة وأدلة ضرورتها ، ووقائع عصبة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من ايداء الناس كنموذج للأنبياء . ويتخلل البحث عرضا لا قصدا تنفيد دعاوى المغالين بعصبة الأنبياء أو عصبة الأئمة الحاكمين بعدهم .

ويمكن الإفادة بحق مما كتبه علماءنا الأوائل كشرح المواقف للعصبة الابجى والشريف الجرجاني ، وأصول الدين للبغدادى ، والاربعين في أصول الدين ، وعصبة الأنبياء للإمام الرازى ، وأعلام النبوة للماوردي ، ومنهاج السنة النبوية ، وشرح العقيدة الاصفهانية أو الواسطية لابن تيمية الجرجاني .

أما حقيقة عصبة الأنبياء بالمعنى العقدي فهي ألا يخلق الله فيهم ذنبا . وهي عند الحكماء الفلاسفة : ملكة تمنع عن الفجور ، وتحصل بالعلم بمثالب المعاصي ، ومناقب الطاعات ، وتؤكد بتتابع الوحي اليهم بالأوامر الدائمة الى ما ينبغي ، والنواهي الزاجرة عما لا ينبغي . وعرفها الشيخ المفيد من علماء الشيعة الإمامية بأنها الامتناع بالاختيار عن فعل الذنوب والقبايح عند اللطف الذي يحصل من الله تعالى في حقه ، وهو لطف يمنع من يختص به

من فعل المعصية ، ولا يمنعه على وجه القهر . أى أنه لا يكون له حينئذ داع الى فعل المعصية ، وترك الطاعة ، مع القدرة عليهما .

وقصر ابن ابي الحديد فى شرح نهج البلاغة — خلافا لبقية الشيعة — النقص على الانبياء من حيث نزول الوحي عليهم ، فرأى أن المعصية مقتضية أربعة أشياء :

أولها : أن يكون لنفس الانسان ملكة مانعة من الفجور ، داعية الى المعصية .

ثانيها : العلم بمثالب المعصية ومناقب الطاعة .

ثالثها : تأكيد ذلك العلم بالوحي والبيان من الله .

رابعها : أنه متى صدر عنه خطأ من باب النسيان والسهو لم يترك مهملًا ، بل يعاقب وينبه ويضيق عليه العذر . وهذا الوضع الأخير مخالف لرأى اغلبية الشيعة ، كما سنبين ، فمتى اجتمعت هذه الأوصاف الأربعة فى رأى ابن ابي الحديد ، كان الشخص معصوما عن المعاصي .

وقد أجمع أهل الملل والشرائع كلها على وجوب توفى صفة عصمة الانبياء من تعمد الكذب أو الخطأ فيما يبلغونه من الله تعالى من شرائع وأحكام وأوامر ونواهي وأخبار ، فلا يقع منهم تحريف أو خيانة فى ذلك ، لا عبداً ، ولا سهواً ، حفاظاً على حقيقة الشرائع الالهية .

وكذلك هم معصومون عن كل ما تقتضيه الرسالة من عدم الوقوع فى الكفر والبدعة ، وتعمد الخطأ فى الفتوى ، والامتناع فى أعمالهم وأحوالهم من اقتراف المعاصي الكبائر ولو سهواً فى رأى الايجى ، أو تعمد الذنوب الصفائر فى رأى بعض العلماء كالرازى ، وأجاز جمهور العلماء صدور الصفائر عنهم ولو عبداً ، الا الصفائر الخسة : وهى ما تلحق فاعليها بالأراذل كسرقة حبة أو لقمة ، فاتها لا تجوز منهم أصلاً لا عبداً ولا سهواً .

وهذا كله بعد الوحي والانصاف بالنبوة وزمانها . أما قيل اتصافهم بالنبوة فلا باع من صدور معصية منهم ، لأنهم بشر عاديون ، كحادثة القتل التى ارتكبتها موسى عليه السلام قبل أن يصير نبيا .

وأما ما ورد فى القرآن من أخطاء الانبياء : فهو إما على سبيل النسيان كمعصية آدم فى الجنة قبل أن يصير له أمة : « فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً » ، وإما على سبيل ترك الأولى .

وبغض النظر عن أى خلاف جرى بين العلماء فى احتمال وقوع النبي فى معصية كبيرة سهواً أو صغيرة عبداً ، فإن الأمة قاطبة متفقة على أن الانبياء هم تحت مرصد دقيق للعناية الالهية ، وفى ظل مراقبة محكمة من الله حتى لا يستقر منهم الخطأ ، فلا يقرون على الخطأ . كما نقل — وهو حديث مكذوب — أنه القى على لسانه صلى الله عليه وسلم : « تلك الغرائق العلى

وإن شفاعتهم لترتجى « عقب قوله تعالى : « **وَاللّٰاتِ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةِ الْأُخْرَىٰ** » فقد نسخ الله ما ألغاه الشيطان ، وأحكم آياته : « **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ** ، فينسخ الله ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرضى والفاصلة قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد » .

وغلا الشيعة الإمامية لا الزيدية في شأن العصمة ، فقالوا بنبوتهما للأنبياء قبل نبوتهم ، وكذلك للأئمة الحاكمين قبل إمامتهم ، بل في دور طفولتهم ، من الكبائر والصغائر كلها ، لا عمدا ولا سهوا ، ولا خطأ في التأويل ، بل إنهم مبرعون منها قبل الوحي وبعد الوحي .

والذي يهيننا بصدد الاقتداء بالنبي وأتباعه في قوله وفعله أن نؤكد قضية هامة : وهي أننا مطالبون باتباع ما يصدر عن النبي قصد لا سهوا ، وقد وقع السهو والنسيان والخطأ فعلا من نبينا صلى الله عليه وسلم أثناء الصلاة بزيادة ركعة ، أو بصلاة ركعتين بدل الأربع ، من أجل أرتسأدنا وتعلمنا ، ولأن السهو والخطأ ليسا من الذنوب . روى مالك في الموطأ : « **إنما أنسى أو أنسى لأسن** » وأخرج الشيخان في صحيحهما : « **إنما أنسا بشر أنسى كما ننسون** ، فإذا نسبت فذكروني » وقد ذكره الصحابة ، وسجد عقب الانتهاء من صلاته سجدتي السهو .

وأما التحريف والخيانة في نقل الوحي به ، فهو أبعد ما يكون عن الأنبياء ، لأنهم معصومون . وقد تكرر في مناسبات متعددة في القرآن تحديد مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم بتبليغ الوحي ، واتباع ما يوحى به إليه ، بل والتهديد بالعقاب الشديد فيما لو كذب فرضا ، أو غير وحرف جدلا ، فقال تعالى مثلا : « **إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ** » « **إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ** » « **قُلْ : إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ** » « **إِنْ أَتَّبِعَ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ** » « **وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ** ، **إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ** » « **وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ** ، **ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ** ، **فَمَا يَمْكُنْ مِنْ أَهْدِ عَنْهُ حَاجِزِينَ** » . وقد فصل القرآن المجيد في مطالب القرشيين المتعذرة بحكم العادة من الرسول عليه الصلاة والسلام ، فقال سبحانه عارضا قصة هؤلاء المعاندين : « **وَقَالُوا : لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا** . **أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ** ، **فَتَفْجُرَ الْأَنْهَارَ خَالِهَا تَفْجِيرًا** . **أَوْ تَسْقُطَ السَّمَاءُ كَمَا زُعمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا** ، **أَوْ تَأْتِيَ بِلَآلِهِ وَالْمَلَكَةُ قُبُلًا** . **أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرَقِيكَ حَتَّىٰ تُنْزِلَ عَلَيْنَا مَكْتَابًا تَقْرَأُهُ** ، **قُلْ : سُبْحَانَ رَبِّي** ، **هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا** » .

وتكررت بذلك حقيقة كبرى : وهي أن الرسول بشر كسائر البشر

فما لم يتصل بالوحي ، ولا يقدر أحد من البشر على الاتيان بشيء من الوحي من عنده ، قال تعالى مبينا هذه الحقيقة : « قل : ما كنت بدعا من الرسل » « وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى إليهم من أهل القرى » « تلك من أنبياء القريب نوحينا إليك ، ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا ، فاصبر أن العاقبة للمتقين » .

أما البراهين المثبتة لعصمة الانبياء ، فهي كثيرة ، دل عليها المنطق والعقل ، وأيدها القرآن الكريم ، وقد أوردها الإمام الرازي ، ومنها : أن الانبياء قدوة للناس وواجب اتباعهم في أقوالهم وأفعالهم بالإجماع لقوله تعالى في حق رسوله صلى الله عليه وسلم : « قل : أن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله » فلو وقع منهم ما يخالف مقتضى الرسالة من المعاصي حرم اتباعهم في ذلك وهو مخالف عموم الأمر بالإتياع . وأدى ذلك أيضا إلى رد شهادتهم إذ لا شهادة لفاسق بالإجماع لقوله تعالى : « أن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا » وكذلك يجب تمينهم وزجرهم للأمر المعام بالمعروف والنهي عن المنكر ، وفي زجرهم إيذاء لهم ، وإيذاؤهم حرام أجماعا ، ولقوله تعالى : « أن الذين يؤثون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة » ، وكان مقابهم على الذنب مضاعفا ، لصيرورتهم أسوأ حالا من عصاة الأمة . ولا يستحقون حينئذ الأنتمان على عهد الله لقوله سبحانه : « لا ينال عهدي الظالمين » وكانوا أيضا غير مخلصين ، علما بأن الشيطان لا يغوى المخلصين : « لأقوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين » ، وصاروا بالذنب من حزب الشيطان وحزب الشيطان هم الخاسرون ، وما استحقوا الوصف بالمبادرة إلى الخيرات من فعل وترك ، مع أن الله قال في إبراهيم واسحق ويعقوب والانبياء : « أنهم كانوا يسارعون في الخيرات » وقال سبحانه : « أنهم عنفنا من المصطفين الأخيار » ، وأصبحوا بترك الطاعة وفعل المعصية داخلين في قوله تعالى : « لم تقولون ما لا تفعلون » وقوله عز وجل : « أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم » ، ولما ثبت لهم أفضل من الملائكة ، ولما استحقوا الوصف بكونهم أئمة يقتدى بهم ، كما قال تعالى في حق إبراهيم : « أنى جاءك للناس أمما » .

واستدل المعتزلة بناء على منهجهم في الاستدلال العقلي لاثبات رأيهم في عصمة الانبياء من اقراراف الذنوب الكبائر ولو سهوا ، والصفائر ولو عمدا وإن تاب عنها : بأن ذلك يوجب النفرة عنهم ، وعدم الاتقياد لهم ، مما يؤدي إلى اهدار المصلحة المترتبة على البعثة ، وانساد الخلاق ، وترك استصلاحهم . وهو أمر مخالف لمقتضى العقل والحكمة . ولذا يمتنع على الانبياء أيضا كل ما ينفر مطلقا حتى لو لم يكن من أعمالهم ، وإنما من أعمال غيرهم كعهر الأمهات أى كونها زانيات ، وتجر الإباء ودعائهم واستزادهم واقتراهم الصفائر الخسيسة .

وإذا كانت هذه هي العصمة ومشتقاتها وأدلة ثبوتها والغاية منها فلا يمكن أن تكون لغير نبي ، سواء أكان حاكما أميما أو عالما . إذ بها فقط تضمن سلامة وصول الوحي السساوي إلينا من غير تحريف ولا تأويل ، ولا نقص ولا زيادة ، فهي أمر ضروري تفرضه طبيعة النبوة ، وتقتضيه الرسالة الإلهية .

أما القول بعصمة الأئمة الحكامين ، أو عصمة الإرادة العامة للأمة بمثابة بالإجماع أحيانا ، فهو ذو وصف آخر يرتبط في الحقيقة بأمانة الناس وسياسة الدولة أكثر من ارتباطه بالنبوة ، وذلك من أجل أضفاء نوع من القداسة على السلطة الحاكمة ، أو تقرير سيادة الدولة في مواجهة الرعية لتأمين إخضاع الفرد لدولته ، إذ بماذا يمكن لحاكم أو لأهل الحل والمقد أن يقرروا من أمور دستورية ذات صبغة إلهية ؟ فالقول بعصمتهم من الوقوع في الخطأ مقيد في نطاق تطبيق الشريعة الإلهية ، لا من أجل تشريع مبتدا . ومن هنا نفى سيدنا على رضى الله عنه أن يكون مخصصا بشيء من النبي فيما عدا الفهم البشرى الذى يؤتيه الله للإنسان في كتاب الله ، فلم يصف سيدنا على نفسه بالعصمة ، بل ولم يتقبل مثل هذا الوصف الذى أطلقه عليه غيره في عهد متأخر أو في عهد جعفر الصادق رضى الله عنه . لذا لم يقل الزيدية بمبدأ عصمة الإمام . ونحن لا نجد حاجة في مناقشة حجج الإمامية القائلين بذلك ، لأنهم أراحونا مقالوا بعدم وجود الإمام المعصوم من زمان بعيد ، وأدلتهم وأن قبلت من الناحية النظرية وفي النطاق السياسى ، لكنها تصطدم بالواقع ، فإذا كانت الأمة بحاجة إلى معصوم يحفظ لها الشرع ويقضى بالوقائع المتجددة ، فهذا مجرد تصور عقلى وتبن مجرد ، لا يلائم الواقع بعد انقطاع الوحي . ويفضل أن تثبت العصمة لمجموع الأمة ، لأن نقل الشرع بطريق التواتر خير من نقله من طريق الشخص الواحد ، ولقوله عليه الصلاة والسلام : « لا تجتمع أمتى على ضلالة » أو « على خطأ » .

ويكفى في الإمام الحاكم عدالة ظاهرة بموافقة الشريعة لاتباع أمره وتخضع الرغبة لسلطانه ، كما أن القاضي والأمير والمجتهد يتبعون وهم ليسوا بمعصومين ، هذا فضلا عن أن القول بعصمة الحاكم وتقديسه ، أو القول بسيادة الدولة المطلقة أصبح لا يتفق مع مفاهيم الحياة الحديثة والانظمة الديمقراطية ، بل ومبدأ الاسلام الذى يقضى بمسئولية الحاكم

واخضاعه لرقابة الأمة ، فطيطعه اذا استقام ، وتحاكمه وتعزله ان انحرف
وزاغ عن سنن الحق .

وأما العصمة بالمعنى الثانى المكمل لمعنى العصمة فى التبليغ عن
الإله : وهو صيانة النبي عن اذى الفاساد ، فامر ثابت لكل نبي بعد اداء
رسالته ، لتحقيق الغاية المرجوة من ارساله : وهى اصلاح البشرية وتبليغ
مضمون الرسالة السماوية لهداية الانسان . واذكر هنا كانبودج للانبيا
بمعجزات عصمة نبيينا محمد صلى الله عليه وسلم التى اظهرها الله تعالى
له بعد ثبوت نبوته بمعجز القرآن واستغفائه عما سواه من البرهان ، ومن
هذه المعجزات تكرر حدوث وقائع متعددة وفرت له الحصانة والصون والنجاة
من اذى الأعداء ، تحقيقاً لقوله تعالى : « **والله يعصمك من الناس** »
ومن ذلك : نجاته صلى الله عليه وسلم من مؤامرة القتل التى دبرها له
مشركو قريش ليلة هجرته الى المدينة المنورة بصحبة أبى بكر الصديق رضى
الله عنه : « **ياذا يسكر بك الذين كفروا ليشتكوا أو يخرجوك** ،
ويمكرون ويمكر الله ، والله خير الماكرين » . حينما اكتشف سراقاة بن مالك
النبي وصاحبه فى الطريق الى الغار ساخت أقدام فرسه فى الارض الى
ابطالها ، فقال : « **يا محمد ادع الله أن يطلقنى** ، ولك على أن ارد من جاء
بطلبك ، ولا أجهن عليك أبدا » ثم أسلم وحسن اسلامه .

وقبل الهجرة أيضا حاول قتله عليه الصلاة والسلام نفر من مظماء قريش وهم
معمر بن زيد من سادات بنى كنانة ، وكعدة بن أسد أبو الأشد ، وأبو لهب ،
وعتبة بن ربيعة ، ثم ارتدوا على أعقابهم خاسئين ، وقال معمر لقريش
حينما هم بقتله فى حجر ابراهيم : « **ويحكم المغرور من غررتموه** .. انى
لأذنوت من محمد ، فارتدت أن أهوى بسيفى اليه ، أهوى الى من عند رأسه
شجاعان اقرعان ينفخان بالنيران ، وتلمع من أبصارها ، فعدوت ، مما كنت
لاعود فى شئ من مساة محمد » ولما أراد كعدة قتله فى الطريق وهو ذاهب
الى المسجد ، رجع السهم فى صدره . ولم يقدر أبو لهب من قتله رغم وقوف
أمراته أم جميل على ظهره عليه الصلاة والسلام وهو ساجد . وقال عتبة -
الذى حاول القتل بعد أن قرأ عليه الرسول أوائل سورة (فصلت) الى قوله
تعالى (**انفل صاعقة عاد وثمود**) - مخاطبا قريشا : « **ويحكم دعونى** ، انه كلمنى
بكلام لا أدرى منه شيئا ، ولقد رعدت على الرعدة ، حتى خفت على نفسى ،
وقلت : الصاعقة قد اخذتنى » .

وبعد الهجرة أراد رجل اسمه (دعثور) قتل النبي حينما انفرد بنفسه
فى غزوة ذى امر عن أصحابه ، فمسقط السيف من يده ، حينما استله ، قائلا

للمرسول : « من يمنعك مني » فأجاب : « الله » ، ثم أخذه النبي عليه السلام .

وفي موقعة حنين أراد شيبة بن ميثان بن أبي طلحة قتل الرسول حينما رآه منفردا عن صحبه ، وقال : « اليوم أدرك ثأري ، وأقتل محبدا » ، لأن أباه قتل يوم أحد في جماعة أخوته وأعمامه . ثم خذله الله ، فقال : « فلما أردت قتله ، أقبل شيء حتى تخشى فؤادي ، فلم ألق ذلك ، فمعلبت أنه ممنوع » .

وحينما اتفق عامر بن الطفيل وأربد بن قيس (أخو لبيد بن ربيعة الشاعر لأمه) على أن يشغل الأول النبي ، ويفرضه الثاني بالسيف ، بدت أعظم مظاهر الخيبة لهما ، إذ أمسك الله يد (أربد) الذي سل سيفه قريبا من ذراع ، فلم يستطع أن يسله ولا أن يغمد . ثم دعا النبي عليهما ، فمات عامر بالطاهون ، وأرسل الله على أربد وعلى جماله صاعقة أحرقتهم .

قال الماوردي في أعلام النبوة عقب هذه الحوادث وأمثالها : « فان قيل : فهذه أخبار آحاد لا يقطع بمثلها ؟ قيل : المداوة ظاهرة ، والطلب معلوم ، والسلامة موجودة ، فلم تدفع جملة الأخبار ، ولم يصح في جميعها توهم الكذب ، وإن جاز في أحادها توهم الكذب ، كالحكي من سخاء حاتم ، وشجاعة عنتر » أي أن ثبات عصمة النبي صلى الله عليه وسلم واضح من طريق التواتر المنحوى : وهو ما اختلفت فيه ألفاظ النقل ، واتحد فيه مضمون الخبر .

هذه هي عصمة النبيين التي كانت أولى الوسائل للحفاظ على آخر الكتب السماوية وخاتمة الوحي الإلهي منذ بعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وإلى يوم القيامة صحيحا غير محرف سلبيا غير مبدل ، ألا وهو القرآن المجيد هداية العالمين ونور السماء والأرض : « وإنا أنزلناه رب العالمين ، نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربي مبين » « وما هو بقول شيطان رجيم . فإين تذهبون . أن هو ذكر للعالمين » .

فلا تتركوا موتى الشريعة الإسلامية في لاهور

من الرباط الى لاهور :

بإحراق إسرائيل للمسجد الأقصى في أغسطس ١٩٦٩ ، بدأ المسلمون الذين يشكلون — في حقيقتهم — أمة مشتركة المقيّدة والتاريخ والأهداف والمصير ، يناكدون — بوضوح — من حقيقة الغارة اليهودية على فلسطين . إنها تحد جديد موجه الى الإسلام ، بدأ بإحراق المسجد الأقصى ، لكنه لن ينتهى — اذا ظل المسلمون على حالهم من التفكك والتخلف — إلا بإحراق اسقف الكعبة ، وهدم مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام ، واغتصاب أرض الجزيرة ، التي عاش فيها ذات يوم يهود خير ، وبنو النضير ، وبنو قينقاع ، وبنو قريظة !!

هكذا يخطط اليهود ، وتلك اهدافهم التي يملنونها ، في كل مناسباتهم الدينية : « السيطرة على العالم الإسلامي بدءاً من السيطرة على العالم العربي ومقدساته ، وتكوين امبراطورية يحكمها حاخامات بني إسرائيل » ... !! ولم يرض شهر على إحراق المسجد الأقصى ، حتى عقد زعماء المسلمين مؤتمر القمة الإسلامي الاول في سبتمبر ١٩٦٩ ، بمدينة الرباط بالمغرب ، لبحث مشكلة المقدسات الإسلامية والمسجد الأقصى بخاصة .



● ادى حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم الشيخ صباح السالم الصباح صلاة الجمعة في مسجد (بادشاهي) بالباكستان . ويبدو سموه في مقدمة المصلين ، كما يبدو الى جانب سموه جلالة الملك فيصل ، ملك المملكة العربية السعودية ورئيس مجلس قيادة الثورة الليبي الرئيس معمر القذافي ، ويبدو كذلك الشيخ عبد الله الجابر الصباح المستشار الخاص لصاحب السمو الأمير المعظم .

ولأن مؤتمر الرباط كان مجرد رد فعل عاطفي على حادث الأقصى ، ولأنه — كذلك — عقد في ظروف نفسية وتاريخية صعبة — فإنه لم يسبقه إعداد تمهيدي ، ولم يكن لديه برنامج محدد « جدول أعمال » ، وبالتالي فإنه لم ينته الى إصدار أية قرارات ، وإنما تركزت قيمته الحقيقية ، في أنه إعلان عن بداية مواجهة المسلمين للتحديات التي تواجههم ، وإعلان — كذلك — من أن الشعور الاسلامي والتضامن الاسلامي لا يزالان بخير في الأمة الاسلامية .

وخلال السنوات الأربع التي تلت قمة الرباط تنامت مؤتمرات إسلامية على مستوى وزراء الخارجية : في جدة ١٩٧٠ ، وكوالا لامبور ١٩٧١ ، وجدة — مرة ثانية — ١٩٧٢ ، وبنغازي ١٩٧٣م ، بما أكد أن اتجاه المسلمين الى التضامن قد بدأ يشق له طريقا واضحا ، أكثر وعيا وتنظيما وإيجابية .

المناخ الجديد :

— لقد تغيرت في هذه السنوات التي تلت مؤتمر الرباط كثير من المعادلات الدولية التي أكدت للمسلمين أن طريقهم الى الحياة والتقدم لن يكون بغير وحدتهم الاسلامية ، واعتمادهم على الله وعلى أنفسهم ، كما أن الوجه الحقيقي لاعضاء المسلمين — على اختلافهم — قد تكشف إزاء عديد من القضايا التي هزت الكيان الاسلامي هذا متيفا .

مع هذه الرؤية التي بدأت تتضح لانظار المسلمين ، وقعت حرب العاشر من رمضان التي ظهر العرب فيها بوجه مشرف للإسلام والمسلمين — فأمطت هذه الحرب الكريمة للمسلمين والعرب روحا جديدة ، تؤكد حقيقة الوحدة التي تضمهم ، وتؤكد أنهم يملكون طاقات ضخمة تؤهلهم لتحرير أنفسهم ، وتحقيق التقدم والتفوق في المجالات المختلفة ، شريطة السير في تحقيق الوحدة ، وتحقيق الاعتماد على الله وعلى الذات .

وفي ظل الرؤية الجديدة ، وهذا الشعور الجديد ، انعقد مؤتمر القمة الإسلامية الثاني بـلاهور في يوم الجمعة (٣٠ محرم ١٣٩٤ هـ الموافق ٢٢ فبراير ١٩٧٤ م) .

أكبر تجمع إسلامي :

وجهت سكرتارية المؤتمر الإسلامي الدعوة الى الدول الإسلامية الأعضاء ، علىّ النداء احدى وثلاثون دولة من بينها تسع عشرة دولة عربية — باستثناء دولة عربية واحدة ، ومع اعتبار منظمة التحرير الفلسطينية ممثلة لشعب فلسطين .

وقد طلب الانضمام لعضوية المؤتمر الإسلامي ست دول إفريقية تمّ قبول طلبها ، وقبول حضورها المؤتمر وهي : الجابون (التي اعتنق رئيسها عمر بونجر الاسلام مؤخرا) وغامبيا ، والكابرون ، وأوغندا ، وغولنا العليا ، وغينيا بيساو .

وبقية الدول الإسلامية المشتركة هي : باكستان ، وأندونيسيا ، وأفغانستان ، وتركيا ، وإيران ، وماليزيا ، وتشاد ، والنيجر ، وغينيا ، والسنگال ، والصومال ، ومالي . وأخيرا ، انضمت بنغلادش ، بعد محاولات الوفاق بينها وبين باكستان ، فبلغ بذلك مجموع الدول المشتركة في المؤتمر ثمان وثلاثين دولة إسلامية .

مؤتمر لاهور :

في مسجد « باد شاهی » الذي شيده الإمبراطور المغولي المسلم « أورانجزيب » منذ ثلاثة قرون . . في هذا المسجد الذي يعدّ من أكبر وأجمل مساجد العالم ، والذي ارتبط اسمه بالشاعر والفيلسوف المسلم « محمد اقبال » . . في هذا المسجد قام الملوك والرؤساء بأداء صلاة الجمعة ، ووراءهم مائة ألف مسلم ، حيث أمهم حامى حمى الحرمين ، عاهل السعودية ، الملك فيصل .

— وبعد الجمعة ، توجه الزعماء المسلمون الى مقر المؤتمر ليليدعوا عملهم الذي استمر ثلاثة أيام متتالية . وقرركز « جدول الأعمال » — الذي كان وزراء الخارجية قد انتهوا اليه — على قضية واحدة محددة ، ذات أبعاد ثلاثة



● **جوع المصلين الذين توافدوا على مسجد بادشاهي بالباكستان لتأدية صلاة الجمعة ، حيث اجتمع أكبر عدد من رؤساء الدول الإسلامية في العالم لتأدية صلاة الجمعة فيه .**

... أبا القضية فهي قضية الشرق العربي ، وأما أبعادها الثلاثة فهي : « عروبة القدس وإسلاميتها — حقوق شعب فلسطين — انسحاب إسرائيل من الأرض العربية المحتلة » .

ولم يمنع هذا التركيز المؤتمر من أن يصل الى قراراتين مهمين عاجلين ، أحدهما خاص بقضية « الفلبين » ، والآخر خاص بقضية « الارتفاع بالمستوى الاقتصادي للأمم الإسلامية » ، حتى لا تقع فريسة المساعدات الخارجية الخبيثة !!

وبما بدأ المؤتمر واضحا ، فإنه انتهى — كذلك — واضحا .. فكانت قراراته التي أقرها في جلسته الختامية تؤكد في مجموعها وسائل تحقيق الأهداف التي وردت في جدول الأعمال .

ولما كان الأستاذ وزير الأوقاف والشئون الإسلامية ، عضوا في الوفد الكويتي الذي رافق صاحب السمو أمير الكويت المعظم الى المؤتمر ، توجهنا إليه بالأسئلة الآتية :

● **سيادة الوزير : « صرح صاحب السمو أمير البلاد المعظم ، بأن مؤتمر لاهور كان مؤتمرا عمليا وإيجابيا ، أمتاز بالنظرة الواقعية » هل تتكرومون بنفصيل هذا التصريح من خلال معاشيتكم للمؤتمر وقراراته ؟**

— أجاب سيادته :

« لقد كان مؤتمر القمة الذي عقد في مدينة لاهور عاصمة « الهند » الإسلامية ، متفهما للقضية العربية ، مدركا أنها قضية تهم كل مسلم . وليست قضية عربية فقط ، وأنها — قضية كل البلاد التي تتف ضد الظلم والعدوان ، وقضية كل أولئك الذين يؤمنون بأن من حق كل شعب أن يقرر مصيره بإرادته الحرة .

وبالنظر لما توفر لهذا المؤتمر من تجمع إسلامي كبير ، ضم مختلف المناطق الإسلامية ، شرقها وغربها وشمالها وجنوبها ، فقد عبر المؤتمرين باجتماعهم هذا — من روح التضامن الإسلامي والأخوة الإسلامية التي حث عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : « ترى المؤمن في توأدهم وتراحهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » ..

وأبضا إلى بالنظر إلى الروح التي سادت هذا المؤتمر وهي روح الأخوة الإسلامية الصادقة .

وبالنظر للقرارات التي اتخذها المؤتمر ، وهي القرارات التي أعطت للقضايا العربية الإسلامية دفعا معنويا وواقعيا طيبا ..

— بالنظر لهذا كله — يتأكد بجلاء أن مؤتمر لاهور ، كان — حقيقة — مؤتمرا عمليا وإيجابيا وواقعيا .

● هل أعطى المؤتمر قضايا إسلامية أخرى — غير القدس وفلسطين — نصيبا من جهده وقراراته ؟

— نعم ، أهتم المؤتمر ببعض القضايا الإسلامية الملحة ، غير قضيتي القدس والشرق الأوسط ... وعلى سبيل المثال ، فإن مشكلة الفلبين أخذت حيزا كبيرا من اهتمام المؤتمر ، واتخذت بشأنها قرارات مناسبة وجدية ، وشكلت لجنة لتابعة هذه القرارات ، وأيضا .. نجح المؤتمر في تقريب الخلاف بين باكستان وبنغلادش ، وفي حضور الشيخ مجيب الرحمن إلى المؤتمر ، واعتراف باكستان ببنغلادش . وغير خاف الجهد الكبير الذي قامت به الكويت — بالذات — في هذا السبيل — وأنه بحق لجهد ريادي ضخم ..

ومع ذلك ، وفيما يتعلق بهذا السؤال أحب أن أقول : إن القضايا الإسلامية كثيرة ، ومن الصعب تناولها بالقدر المطلوب لها في مؤتمر « القمة » ، والمعروف أن مؤتمرات وزراء خارجية الدول الإسلامية المتتالية تقوم بمتابعة القضايا الإسلامية كلها ، وأما اجتماع « القمة » فهو لعلاج قضايا حاسمة وملحة وعاجلة .

هذا فضلا عن أن مؤتمر القمة الإسلامي كان يسير وفق « جدول أعمال » انتهت إليه الاجتماعات التمهيدية لوزراء الخارجية ، وتم فيها وضع القضايا ذات الأولوية أو الخطورة أمام الزعماء المسلمين . وهي تلك القضايا التي تستدعي جهد « القمة » نفسها ، ومشاركتها بمشاركة مباشرة .

● مع تقديرنا لقرارات المؤتمر المحددة حول القدس والحق العربي والفلبين ... هل صدرت قرارات عامة تؤكد بداية التضامن الإسلامي ، وتخدم مجسوع المسلمين ؟



● جانب من حفل افتتاح مؤتمر القمة الاسلامى فى لاهور

— لقد تدارس المؤتمر الموقف الاقتصادى الاسلامى بصفة عامة ، ووضع البلاد الاسلامية الاقتصادى بصفة خاصة .

وبناء على هذه الدراسة ، قرر إنشاء لجنة تتكون من ممثلين وخبراء من الجزائر ، ومصر ، والكويت ، وليبيا ، وباكستان ، والمملكة العربية السعودية ، والسفغال ، ودولة الامارات العربية .

— وأبرز أعمال هذه اللجنة إيجاد الوسائل والأساليب التى تهدف الى تخفيف المصاعب الاقتصادية التى تواجهها الدول النامية ، والتى تنظم شروط التبادل التجارى بين الدول المتقدمة والدول النامية ، فيما يتعلق بموارد المواد الخام واستيراد السلع المصنعة والخبرة الفنية .. وكل هذا فى سبيل القضاء على الفقر والمرض والجهل فى البلاد الاسلامية ، وإنهاء استغلال الدول الصناعية الكبرى للدول الاسلامية .

وأعتقد أن هذا القرار الاقتصادى سيكون له اثر حبيب فى خدمة الأمة الاسلامية كلها ، وحل كثير من مشاكلها التى تكاد تكون مشتركة بين أكثر دولها .

● من بين قرارات مؤتمر وزراء الأوقاف العرب المتعقد بالكويت فى المحرم ١٣٩٢ ، إنشاء « مكتب تنسيق إسلامى » . . . هل تم إنشاء هذا المكتب ؟ والأمكن عن طريق هذا المكتب — بعد مؤتمر لاهور — التخطيط لمعد مؤتمرات وزراء الأوقاف على مستوى العالم الإسلامى كله ؟

— الحق أن مؤتمر وزراء الأوقاف والشئون الاسلامية العربى الذى عقد فى الكويت ، كان مؤثرا تأسيسيا فقط ، وبالتأكيد ، وبعد ظهور طابع التضامن الإسلامى .. لا شك أن التنسيق سيكون قائما بين مؤتمرات وزراء الأوقاف والامانة العباسية للمؤتمر الإسلامى ، لتتولى هى مهمة مكتب التنسيق الإسلامى . وسيكون من السهل بعد ذلك عقد مؤتمرات لوزراء الأوقاف والشئون الاسلامية على مستوى العالم الإسلامى ، ولا سيما وأن معظم وزراء الأوقاف

والشئون الإسلامية كانوا أعضاء في وفود بلادهم الى مؤتمر القمة الاسلامى فى لاهور .

● هل تقابلتم وبعضى السادة وزراء الأوقاف الذين حضروا الى لاهور ؟

— التقيت بأكثر من وزير للأوقاف والشئون الإسلامية ، وتباحثت معهم في القضايا التي تمه العالم الاسلامى ، والتي يمكن التعاون فيها لخدمة الاسلام والمسلمين .

ومن هؤلاء الإخوة الوزراء الذين التقيت بهم : وزير الشئون الدينية والتعليم الاصلى بالجزائر « مولود قاسم » ، ووزير الشئون الدينية في موريتانيا « أحمد ابن آل عمر » ، ووزير الأوقاف والشئون الإسلامية في المغرب « الناصري المكي » والدكتور « عبد العزيز كامل » نائب رئيس الوزراء ووزير الأوقاف في مصر ، وغيرهم من إخواني المسؤولين عن الشئون الإسلامية في البلاد العربية والإسلامية .

● ايمكن بعد مؤتمر الرباط ولاهور ان نقول : ان هناك قوة اسلامية ، ذات شخصية مستقلة ، وأهداف مشتركة ، بدأت تظهر على المسرح الدولي ؟

— الحقيقة ان هذا التجمع الاسلامى الذى تمثل في مؤتمر القمة بلاهور ، أعطى العالم الاسلامى مميزات وملامح مستقلة ، كقوة مادية ومعنوية دولية ، لها عقيدتها الخاصة ، ولها رسالتها نحو الانسانية . وهي تلك المقومات المشتركة التي تربط بين أعضائها ، وتمكنها من متابعة مسيرتها ، وتحديد موقفها من الصراع الحضارى الدائر في عالم اليوم .

والأمل كبير في ان هذا التجمع الاسلامى ، سيكون له ما بعده من مظاهر الوحدة والتضامن بين أعضاء خير أمة أخرجت للناس ، حتى يعود المسلمون — باذن الله — الى مكان القيادة من جديد ، فينقذوا المدنية الحديثة من هاوية السقوط الأخلاقى ، وعبادة المادة ، واستعيدوا الانسان لأخيه الانسان . وما ذلك على الله بيميد !!

اضواء أخيرة على المؤتمر :

إن التقويم الموضوعى لمؤتمر لاهور يوجب نظرة شمولية الى النتائج القريبة والبعيدة التي أسفر عنها المؤتمر .

وفى يقينى ان القرارات التي انتهت اليها المؤتمر ، لا تعدو أن تكون جزءا محدودا من آثاره البعيدة المدى في قضية التضامن الاسلامى ، والنهضة الإسلامية .

والمتتبع لحركة المؤتمر الدائبة خلال أيامه الثلاثة ، يلاحظ التفاعل والتلاحم بين أعضاء الجسم الاسلامى ، الذى اجتهد الأعداء في تزيقه وتشتيته ، وهنا

وهناك لقاءات ، ومباحثات « واتصالات جانبية » ، « ومسامح حميدة » ومحاولات جادة لإزالة الخلافات الطارئة المصطنعة التي تراكمت بفعل المخطط الاستعماري والتدخلات الأجنبية .

— ولقد أثّرت خلال الجلسات قضايا حيوية ، يعتبر مجرد إثارتها ، والتفكير فيها هذا التفكير الجدي ، وطرحها للحوار على النحو الذي طرحت به — عملاً إيجابياً في حد ذاته : مقضية المصرف الإسلامي ، والسوق الإسلامية المشتركة ، والالتزام بالدفاع عن أية دولة إسلامية يعتدى عليها ، وإنشاء جامعة إسلامية للتكنولوجيا ، وعدم السماح بنزول الطائرات الإسرائيلية في الأرض الإسلامية ، والانتقال بالتعاون الإسلامي من دائرة الشعارات إلى دائرة التنفيذ الفعلي عن طريق التعاون الاقتصادي بين الدول الإسلامية بعضها البعض .

... هذه القضايا الحيوية التي طرحت في لاهور على مائدة الحوار ، وأخذت طريقها الهاديء إلى لجان المؤتمر الإسلامي ، كانت منذ سنوات قريبة حلماً ، لا يكاد يصل إليه الخيال .

— وظاهرة أخرى جديرة بالنظر ، فإن المجموعة العربية ، قد ظهرت خلال المؤتمر كمجموعة متباعدة قوية ملتزمة جديرة بأن تعود إلى قيادة العالم الإسلامي من جديد .

— ومع أننا كنا نأمل في حضور قادة « أندونيسيا وإيران وتركيا ، شخصياً ، لأن ذلك كان من شأنه إبراز « التضامن الإسلامي » على نحو أقوى ، إلا أننا نعتقد أن ظاهرة التضامن الإسلامي في طريقها إلى أن تصبح ظاهرة مائة ، لا توقفها عوارض جزئية طارئة !!

— لقد أعلنت مقدمة البيان الختامي للمؤتمر ، أن ملوك ورؤساء الدول والحكومات وممثلي البلاد والمنظمات الإسلامية يعربون عن :

- « إيمانهم بأن دينهم المشترك إنما يمثل رابطة لا انفصام لها بين شعوبهم » .
- « ويطبقون بأن للبلاد الإسلامية دوراً رئيسياً في الكفاح من أجل التقدم الجماعي وخلق نظام عالمي يقوم على العدل والإنصاف » .
- « وتصميمهم على صون التضامن بين الدول الإسلامية وتنميته » ..

— إن هذه الروح الجديدة التي ميّزت عنها مقدمة البيان الختامي للمؤتمر هي أبرز « المنطلقات » التي تهم حركة التاريخ ، لأنها الإعلان عن انطلاق « الإرادة الإسلامية » و « التضامن الإسلامي » و « الروح الإسلامية » الفادرة على تهر التحديت ، وصنع الحضارة ، وإعادة بناء الإنسان المسلم والانسان المسلمة .

عبد الحليم عويس

النا مائدة الفارسي

«ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول

لوجدوا الله توابا رحيما» .

١ - قرآن كريم -

والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ، ثم يموت ولم يؤمن بالذى أرسلت به إلا كان من اهل النار .
- حديث شريف -

الايمان طمانينة

بسم ابراهيم بن ادهم علي رجل ينطق ووجهه بالهم والجزن ، فقال له .

ايها الرجل انى سائلك من ثلاث ، ما يصيبني منها . فقال الرجل : نعم .
قال : اجري في هذا الكون شىء لا يريده الله ؟ قال : كلا . فقال :
ان ينقص من رزقك شىء قدزه الله لك ؟ قال : كلا . قال : ان ينقص من
احلك لحظة كتبها الله لك في الحياة ؟ قال : كلا . قال ابراهيم : من سلام
الهم انى .

نساء الانصار

قالت ام المؤمنين عائشة رضى الله عنها : ما رايت افضل من نساء الانصار اشد تصديقا لكتاب الله ، ولا ايمانا بالتنزيل . . لما نزلت فى سورة النور : « وليضربن بخمرهن على جيوبهن » انقلب رجالهن اليهن يتلون عفين ما انزل الله اليهم منها ، يقتل الرجل على امراته وابنته واخته وعلى كل ذى قرابته ، فما منهن امرأة الا قامت الى مرطها المرحل فاعتجرت به تصديقا وايمانا بما انزل الله من كتاب فاصبح وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتهن على رءوسهن الغربان .

اجير او امير

دخل ابو مسلم الخولاني على معاوية بن ابي سفيان فقال : السلام عليك ايها الاجير فاستنكر ذلك جلساء الخليفة ، وقالوا له : قل السلام عليك ايها الامير ، فاصاد السلام عليك ايها الاجير ، قالوا : بل قل ايها الامير ، فاصر على قوله وهنا طعن معاوية الى تصده ، وقال : دعوا يا مسلم فانه اعلم بما يقول . فقال ابو مسلم : انما انت اجير استأجرك رب هذه الامة لرعايتها ، فان انت داويت مرضاها ، وحبست اولها على آخرها وفك بيدها أجرك وان انت لم تفعل فاعينك سيدك . .

جائزة وعقوبة

مثل رجل بين يدي المنصور ، ورمى بكرة ، فغررت في الحائط ، ثم اخذ يرمى واحدة بعد الأخرى ، فكانت كل ابرة تدخل في ثقب سواها حتى بلغ عدد الابر مائة ، فاعجب المنصور به ، وأمر له بمائة دينار وحكم عليه بمائة جلدة ، فارتاع الرجل وسأل عن السبب ، فقال له المنصور :

أما الدناير فغير اعتبك ، وأما الجلديات فلاصاعتك الوقت فيما لا ينفع .



الشيخ عبد الحميد السائح

ميلاد الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم حدث من الأحداث العالمية ، التي غيرت مجرى التاريخ ، وكان لها الأثر الأكبر ، فيما حدث بعد ذلك ، من تغييرات جوهرية في الجزيرة العربية وفيما حولها ، ثم في الأقطار والأمصار ، التي وصل إليها الإسلام بدعوته الخيرة ، وأخلاقه العظيمة ، التي كانت تتمثل في تطبيق المسلمين أحكام الإسلام في معاملاتهم وتصرفاتهم ، وكان رسل الإسلام ومبعوثوه وتجار المسلمين مرآة للإسلام سلوكا وصفاء ، وعدلا ووفاء ، فاجذبوا غيرهم اليهم ، وانتشر الإسلام في انحاء المعمورة .

ولكن هل وفي المسلمون بحق الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد تفرقوا أيدي سباً ، وأصبح كل فريق يناوئ الآخر ، ويخطط لقهره أو التغلب عليه ، وشاعت العصبية بثوب الحزبية ، والمبادئ المستوردة ، وأصبح كل جماعة يتنادون لما يلتفون حوله من آراء ، ولو عارضت الإسلام في مخططاته ومعتقداته ، وقد نحى الإسلام عن الحكم والتشريع ، وأبعد القرآن عن العمل والتطبيق ، وهجر الإسلام في دواوين الدولة ، ومجتمعات الأمة ، على اختلاف أنواعها وأشكالها ، واكتفينا من ذلك كله بالمظاهر ، وأغرقنا في البعد عن الجواهر ، مع أن هذا الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم يقول : « أن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » (١) ، والله تعالى يقول : (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) (٢) .

وقد أرسل الله هذا الرسول العظيم رحمة للعالمين ، ينقذهم من جهالاتهم وضلالاتهم ويصرفهم عن عصبيتهم وأهوائهم ، ويجعلهم مثال العدالة والاستقامة ، قال تعالى : « لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين » (٣) .

وقال سبحانه : (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) (٤) .

يا مسلمون : هذا الرسول الأعظم نعمة الله عليكم فلا تذكروها ، وعبء اليكم فلا تجحدوها ، ومصدر كل خير فاجعلوه قدوتكم وإمامكم ، وليكن الحكماء السابقين ، حتى يتبعهم الحكومون ، ولنعم خيرات هذا الرسول صلى الله عليه وسلم البيت والمدرسة والشارع وكل المجتمعات ، تغترف من هديه وتستفيد بتعاليمه حتى تصبح حقيقة مسلمين مؤمنين ، بشريعة الله عاملين ولهدى الرسول مطبقين ، (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا إن الله غفور رحيم . إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون) (٥) .

وحينئذ يتسابق المؤمنون في ميادين البر والخير والعمل الصالح ، وجهاد الأعداء والجفاظ على كرامة المؤمنين ومقدسات المسلمين ، في سبيل إرضاء الله والرسول وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (عند الله خزائن الخير والثمر ، مفاتيحها الرجال ، فطوبى لعبد جعله الله مفتاحا للخير مغلاقا للشر ، وويل لعبد جعله الله مفتاحا للشر مغلاقا للخير) (٦) .

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (أعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وأن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأتلام وجفت الصحف) : رواه الترمذي ، وفي رواية غير الترمذي . أحفظ الله تجده أمامك ، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة ، وأعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك ، وأعلم أن النصر مع الصبر ، وإن الفرج مع الكرب وإن مع العسر يسرا) (٧) .

فهذه الهداية النبوية وأمثالها هي التي دفعت أصحاب رسول الله إلى ميادين القتال والشهادة دفاعا عن الإسلام وذيادا من حياضه وطمعا في رحمة الله ورضوانه ، وهذه المبادئ هي التي كان المسلمون يتسابقون ويتنافسون في تطبيقها ، ورسول الله قدوتهم وسيد البشر إمامهم ، يعتبرون أموالهم حقا لله وأنفسهم وقفا على رضا الله ، يبذلون كل ذلك حرصا على طاعة الرسول

ورضاه (من يطع الرسول فقد اطاع الله ومن تولى فما ارسلناك عليهم
حفيظا) (٨) .

وكان اصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ، والتابعون من بعدهم
يدفنون كل عصابة او تجمع لا يرضى رسول الله ، وكل مبسدا يسبب سخطا
لرسول الله ، لا يحبون الا فى الله ، ومن اجله ، ولا ييفضون الا فى الله ومن
اجل الله ، سائرهم على درب الرسول فى اعتبار القرآن امامهم وقبلتهم ،
يتعبدون بتلاوة آياته وتدبرها ، وتنفيذ احكامه ، وتطبيق تعاليمه ، فكونوا
تلك الجماعة الاسلامية المجتدة لخير البشرية والمتماسكة فى سبيل دفع الاذى
والشر ونصر المظلوم وردع الظالم والتضحية من اجل كل ذلك بالنفس والنفيس
متمثلين بقوله سبحانه : (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم
واتقوا الله واعلموا ان الله مع المتقين . وانفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا
بايديكم الى التهلكة واحسنوا ان الله يحب المحسنين) (٩) .

وقوله سبحانه : (ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم
الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون ، وعدا عليه حقا فى التوراة
والانجيل والقرآن ومن اوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به
وذلك هو الفوز العظيم) (١٠) .

الموقف فى ساعة العسرة

ولما وقع المسلمون فى ضائقة وشدة يوم تبوك ودعا الرسول اصحابه
الى البذل والسخاء انقاذا للاسلام والمسلمين من شر الطغاة والمعتدين تسابق
اصحاب رسول الله وتنافسوا فبذل ابو بكر كل ماله ، وبذل عمر نصف ماله
وبذل عثمان الكثير الكثير فى تجهيز الجيش واعداه كما بذل الآخرون من
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

موقفه من المتخلفين

وقد تخلف عن اجابة النداء عدد من اصحاب الرسول منهم كعب بن مالك
وهلال بن امية ومرارة بن الربيع ، وليس لهم عذر فى هذا التخلف فقرر الرسول
مقاطعتهم ومنع الناس من كلامهم وقد جاءت زوجة اُحدهم تستأذن الرسول
فى خدمته وهو شيخ طاعن ليس له من يعينه فاذن لها فى خدمته على
ان لا يقربها ، واستبشروا على ذلك خمسين ليلة ، وهم فى اشد حالات الضنك
والضيق الى ان نزلت توبتهم من السماء ، فرأى كعب ان من تمام توبته ان
يخرج عن ماله صدقة الى الله ورسوله .

وانزل الله تعالى على رسوله : (لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأتصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ، ثم تاب عليهم انه بهم رؤوف رحيم . وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو القواب الرحيم . يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) (١) .

كان هذا الموقف درساً لكل من يتخلف عن مسيرة الجماعة والمساهمة في عمل الخير والجهاد بالنفس والمال خصوصاً في أوقات الشدة والضائقة التي تصادف المسلمين (١٢) .

العبرة في هذه الفكري

على المسلمين حينما وجدوا أن يراجعوا أنفسهم ويفكروا في ما أصابهم في فلسطين وغير فلسطين وما يمكن أن يتهدهم من أخطار ويتعرضوا له من بالغ الأضرار اذا هم تخلفوا عن الاستمرار في البذل والسخاء والتخلي عن الأهواء والأطماع ويذكروا أن للمسلمين قوة لا تبارى ولديهم من الامكانات المتعددة ما يحل أية جهة على التفكير عدة مرات قبل التخطيط لمعاداتهم واهمال شأنهم لو انهم على درب الرسول سائرون ولدعوة محمد منفذون ولشريعته مطبقون .

فواجب عليهم أن يعملوا جدياً على استلزام شريعة الرسول وتطبيق احكامها في قوانينهم والتقييد بحدودها في كل تصرفاتهم ويحرصوا على ديار الاسلام غير مفرطين في أي جزء منها خصوصاً اذا ارتبطت بمقيدتهم الدينية وحضارتهم الاسلامية ويحزموا أمرهم على أن لا يفرطوا في القدس الشريف او غير القدس من الديار المنهوبة المعتدى عليها ، واذا اعتصموا بحبل الله وأذعنوا لأمر الله ، وكان هدفهم رضا الله ورضا رسول الله فانهم وأصلون لما يعيد اليهم عزتهم وكرامتهم وديارهم « أن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » (١٣) .

ايها المسلمون :

في ذكرى مولد الرسول	اذكروا جهاد الرسول وأصحاب الرسول
في ذكرى مولد الرسول	اذكروا تضحيات الرسول وأصحاب الرسول
في ذكرى مولد الرسول	اذكروا صفحات سيرة الرسول وأصحاب الرسول
في ذكرى مولد الرسول	اذكروا غزوات الرسول ومواقف أصحاب الرسول

فى ذكرى مولد الرسول افكروا ما من الله على الرسول واصحاب
الرسول من النصر المبين والاعزاز والتكريم

اذكروا كل هذا للائتساء والافتداء بالرسول واصحاب الرسول لتعود
لكم قوتكم ويهابكم اعداؤكم وتتفوا فى الفروة بين الأمم ، وحينئذ يرضى عنكم
الرسول فى ذكرى مولده وتحققون ما هدف اليه الرسول فى قوله صلى
الله عليه وسلم :

(المؤمن القوى خير واحب الى الله من المؤمن الضعيف) (١٤) .



-
- (١) الامام مسلم .
 - (٢) الآية ٣٧ من سورة الحج .
 - (٣) الآية ١٦٤ من سورة آل عمران .
 - (٤) الآية ١٠٧ من سورة الانبياء .
 - (٥) الايتان ١٤ و ١٥ من سورة الحجرات .
 - (٦) الطبرانى ، الحديث ١١٥ من كتاب قيس من تور مريد صلى الله عليه وسلم للدكتور
محمد فايل الخط .
 - (٧) جامع العلوم والحكم لابن رجب العنبلى ص ١٦٠ ، ١٦١ .
 - (٨) الآية ٨ من سورة النساء .
 - (٩) الايتان ١٩٤ و ١٩٥ من سورة البقرة .
 - (١٠) الآية ١١١ من سورة التوبة .
 - (١١) الايات ١١٧ - ١١٩ من سورة التوبة .
 - (١٢) مختصر زاد المساد ص ٣٥٨ .
 - (١٣) الآية ٧ من سورة مريد .
 - (١٤) الامام مسلم .



للإستاذ : محمد المحنوب

- ١ -

« لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وفكر الله كثيرا » .

وردت هذه الآية الكريمة أثناء القسم الأول من سورة الأحزاب ، التي نزلت في أعقاب غزوة الخندق ، وكانت ضربا غالبا من الأمحان ، كشف مخبات النفوس ، وميز كل صنف من سكان المدينة بلونه وخصائصه .. فكان هناك المؤمنون الذين ابلوا وزلزلوا فلم يزدهم الشدة الا صفاء وتالفا ، وكان هناك المنافقون ، الذين فضحتهم المحنة فلم يملكوا كتمان ما انطوت عليه أنفسهم ، فاذا هم يصارحون بالعداء والشتمات والتكذيب ، وكان هناك ايضا اليهود ، الذين استهوتهم الفتنة فنكثوا ايمانهم ، وانسلخوا من الذي وقعوه مع رسول الله ، وتهينوا للأجهاز على المؤمنين من وراء وراء ..

ونظرة واعية الى سياق الآية ما تقدمها وأعقبها من وصف لظسروف الغزوة ، كيف بدأت وكيف انتهت ، توضح بصورة قاطعة أن تدبيرا ربانيا حكما قد تولى تنسيق الوقائع ، وبسر لكل جزء منها سببه المهد لخاتمته .. لتنمايز الوجوه فيحيا من حي عن بيئة ، وبهلك من هلك عن بيئة .. ولتنجلي للمؤمنين ، فيما بعد وحتى تقوم الساعة ، طريق العزة والنصر لاجبة بارزة ، لا يزيف عنها الا عم لا يفرق بين سبيل المؤمنين ومجاهل الكافرين ..

ومع أن السورة قد عنوانت باسم (الأحزاب) لم يستغرق حديث الفزوة منها سوى أقل من ربعها . أما ما قبل ذلك وما بعده فينصب على ترسيخ المبادئ الأساسية التي يجب أن ينهض عليها المجتمع المسلم . يبدأ ذلك بشخص الرسول نفسه صلوات الله وسلامه عليه ، وبأهل بيته المطهر ، وبين الصلة الوثقى التي يجب أن تربط الأمة به وبهم . ثم الوثائق الروحية التي تؤلف بين قلوب أهل الإيمان . ومن ثم تسلط الضوء على العناصر الخارجة عن نطاق هذا المجتمع النبوي ، لتكشف مؤامراتها عليه . فإذا ما استوفت آيات الفزوة عرض الأحداث القتالية ، عادت إلى اتهام ما بدأت من رفع ركائز التنظيم ، وفي ظليته تحصين البيت النبوي بكل ما يجعله صالحاً لأعطاء القدوة العليا . ثم تمضي الآيات في توسيع هذه الدائرة حتى تشمل جوانب المجتمع الإسلامي بأسره . مجهزة أثناء ذلك على رواسب من تقاليد الجاهلية ، التي لا تتفق مع أهداف الإسلام ، ومعمقة لجنور الاعتصام بقيادة الرسول وطاعته ، انسجاماً مع الإدارة الربانية ، التي تعلن رضاها عنه بصلاة الله وملائكته والصالحين من عباده عليه ، صلى الله عليه وسلم ، وموجهة عناية كبيرة إلى تركيد سلامة البيت المسلم وحياطته بكل الآداب التي تجعل منه مثلاً أعلى للمجتمع السعيد النظيف . حتى ينتهي المطاف بمصائر كل من المهتدين والضالين ، مع التأكيد على ما بدأت به السورة من أمر بالتقوى ، وال التزام سبيل المؤمنين ، والحفاظ على أمانة الله بالطاعات المؤدية إلى مغفرته ورضوانه .

وبقليل من التفكير السديد يتبين العقل أن حياة رسول الله ، صلوات الله وسلامه عليه ، في نفسه وفي بيته وسلوكه في معالجة القضايا الإنسانية، هي النواة التي حولها تتحرك محاور السورة كلها .

إنه المجتمع المسلم المتميز بخصائصه الربانية ، من الإيمان بالله ، والتطلع إلى ما وراء الحياة الفانية ، والاستحضار الدائم لجلال الله . ذلك المجتمع الذي عرف سبيله واضحاً على خطى النموذج البشري الأسمى ، الذي اصطفاه الله قائداً لعباده ، وقرن مرضاته بالتزامه فقال : (من يطع الرسول فقد أطاع الله) وقد أنشأه على عينه فلم يزل يترقى في آفاق الكمال حتى استحق أن يقول له : (وإنك لعلى خلق عظيم) وأن يوجه المجتمع الإيمانى إلى الاقتداء به في كل تصرفاته ، قائلاً على سبيل القطع والاستمرار (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) .

ومن أوائل البهديات الأسبيل إلى تحقيق الأسوة الا باقتفاء آثار المعنى بها ، ومعنى ذلك بالنسبة إلى المسلمين أن يكونوا على علم بسيرة المثل الكامل، الذى أخذ عليهم المهد باتباعه منذ أن أعطوا ربهم ميثاق السمع والطاعة بشهادة التوحيد ، ومن هنا كان العلم بسيرته صلوات الله وسلامه عليه واجباً،

بل فرض عين على كل مسلم حسب طاقته من المعرفة ، اذ لا مندوحة للمسلم من تعرف المثل التطبيقي لحقائق الاسلام ، متجلية في صورة بشرية تعيش واقع الحياة ، وتعامل احداثها على ضوء من هذه الحقائق .

ولا حاجة الى التذكير بان اغفال سواد المسلمين لهذا الجانب الهام من اصول الاسلام ، هو الذي قذف بالامة في ظلمات الضياع والتخلف ، لانه قطع ما بينها وبين نبيها من وشائج المعرفة وعلائق الاسوة .. وهو انقسام واسع المدى يستوى في تبعاته عامة المسلمين ، والجيل الذي امتصته الثقافة الغربية وعلى راسه فئة المزودين بمركب الجهالة العمياء لدينهم .. وانما جاء استواء الفريقين في مسؤولية هذا الانقسام ، من حيث التقاؤهما على مخافة الحقيقة الممثلة في شخصيته صلوات الله وسلامه عليه . فانما كان المستغربون من ابناء المسلمين قد افسد المكر اليهودي فطرتهم ، حتى تم يعودوا يعلمون عن هذا النبي العظيم الا ما لقنوه من اعدائه ، فان فطرة العامة قد شوهتها ايضا تشعوبات المنحرفين ، فهم لا يحملون عن شخصية الرسول الا بعض الصور المغامرة ، التي لا تكاد تتصل بحقائق الحياة .. ولا يكادون يتصلون هم بها الا في حفلات الموالد ، التي استحالَت في الغالب الوانا من اللهو واللغو لا تهب المجتمعين عليها اي مردود صالح ..

واذا كان للاسوة الحسنة كل هذا الاثر البناء ، فلا بد من العلم الحاسم بان كل محاولة لاستردادها ، ورد المسلمين اليها ، سيكون نصيبها الاخفاق الذريع ، اذا لم تقم على اساس الفهم السليم لحياة الرسول الكريم ، من خلال الكتاب الحكيم ، والسيره الصحيحة ..

وهذا ما حداني اليوم للوقوف عند بعض المشاهد من خلال السيرة المطهرة .. يقينا مني بانها خير ما نستقبل به نكري اشراقته صلوات الله عليه وسلامه على هذا العالم القاتل ..

لما احس مشركو قريش فشو الاسلام ، ونحاة المهاجرين الى الحبشة من اذاهم ، وما نال رسول الله من القوة باسلام حمزة وعمر رضى الله عنهما ، عمدوا الى سلاح جديد من صنع الشيطان ، هو المقاطعة الشاملة لكل من يقف الى جانيه من بني هاشم وبني المطلب .. وكتبوا بذلك الصحيفة المعروفة . ومضت القطيعة الى غايتها قرابة الثلاث السنوات لقي المسلمون خلالها امانين النبلاء .. ولكن هذا لم يقل من دأب رسول الله في عرض دعوة الله على الناس ، ولا سيما الوافدين الى مكة من ارجاء الجزيرة ، على كثرة ما واجه من اذى الطواغيت ، الذين استخدموا كبير نفوذهم للحيولة بينه وبينهم ، وظل على شأنه من الطواف والتعبد في المسجد الحرام متحذيا بذلك جبابرة قريش ، ثقة بموعد الله الذي امره بالتبليغ ، ويشره بالعصمة من الناس .

- ٢ -

ونزل الموت بابى طالب ، ثم تلتها الزوجة الوفية الخالدة خديجة رضى الله عنها خلال أيام .. وبذلك حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم الجناحين اللذين طالما أظلاه بالعمون والحب ، وتجرأ عليه من لم يكن ليطمع بذلك من قبل ، حتى ليمترضه أحد السفهاء فينثر على رأسه التراب ، ولما جاءت إحدى بناته تفسل رأسه جعلت تبكى فيهدىء من روعها بقوله : « لا تبكى يا بنية ، فإن الله مانع أباك » ..

ويفانر مكة بحثا عن انصار للدعوة فى الطائف .. بيد انه يعود باثد من الأذى الذى لقيه من قريش ، حتى أن كبارها ليفرون به السفهاء والمبيد يسبونونه ويصبحون به ، الى أن الجنوة الى حائط لاثنين من ألد أعدائه .. فلم يزد على أن يرفع الى ربه هذه التفحات المائجة بمعبير الرضى عن قضائه : « اللهم لك اشكو ضعف قوى وقلة حيلتى وهوانى على الناس .. ان لم يكن بك على غضب فلا أبالى » ..

- ٣ -

وفى أحد تضيق الدنيا بالمسلمين وهم يستمعون الى النبأ الصادع بمقتل رسول الله ﷺ فيطيش وعى الكثرة منهم ، حتى ليغفلون عن أزمة النصر التى قبضوا عليها ، ويهيمون على وجوههم تتقافهم الأرض هنا وهناك ... ولكن رسول الله يثبت فى وجه الدفق المنصب عليه من العدو كانه الجبل الاثم بأزاء المواسف .. تزهو عيناه من خلال المغفر ، وينظر الى البقية القليلة من صحابته يشجعهم وهو يتنسم ، فكان الشاعر لم يعن سواه عندما قال وهو يغالى فى وصف بطله :

وقفت ، وما فى الموت شك لواقف
كانك فى جفن الردى وهو نائم
تمر بك الأبطال كلمى هزيمة
ووجهك وضاح وتفسرك باسم

- ٤ -

وفى مرجع رسول الله صلوات الله عليه وسلامه من غزوة ذات الرقاع نزل بصحبته فى أحد الاودية ، واتخذ مقيله فى ظل سمرة بعد ان علق بها سيفه .. وبينما هو غارق فى نومه اقبل اعرابى من الفتاك فاخذه فاستلكه . واستيقظ رسول الله ليرى الاعرابى وقد استعد للجريمة ، وتملكه الزهو

فجعل يهز السيف بوجهه وهو يقول : من يملك منى ؟! وفي وقار النبوة الذي لا يعرف الخوف من بشر أجاب : يضمني الله .. وسرعان ما سرت الرعدة في أوصال الرجل حتى سقط السيف من يده ، فياخذه الرسول ويقبل الصحابة ليروا الفاتك وقد أخذه الروح ، وجلس بين يديه صلى الله عليه وسلم يتقرب قضاءه العدل .. ولكنه صلوات الله عليه وسلامه يأتي أن يكون الا حيث وضعه ربه فوق الانتقام الشخصي ، فرد للمرتاع أمه ، ومنحه الحياة والحرية وكان لهذا الفضل مردوده في نفوس انقوم الذين أدركوا أن الذي يجهدون للايقاع به هو في حماية الله ، وفوق المألوف من خيار عباده .

— ٥ —

وفي وادي حنين فوجئت كتائب الله بكمان هوازن تنحدر عليها من جانبيه فتأخذ الفجأة عيون المؤمنين ، فإذا هم ينتشرون باحثين عن منافذ النجاة . ولا يتمالك بعض الطلقاء ، الذين لم تخلط بشائسة الايمان قلوبهم بعد ، فيعلن فرحته بما توقعه هزيمة ساحقة للإسلام ، ويصرح آخر : الا بطل السحر اليوم ..

وثبت مع رسول الله نفر من المهاجرين والانصار ومن أهل بيته ، ممن كان على مقربة منه اثناء الجولة ، فلم تنل منهم الصدمة المفاجئة .. وجعل رسول الله يتقدم في نحر العدو وهو يرتجز :

انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب

ويهيب بالمسلمين الشاردين : اين ايها الناس ؟ هلموا الى .. انا رسول الله ، انا محمد بن عبد الله ..

ويوعز الى العباس عمه ان اصرخ : يا معشر الانصار .. يا معشر اصحاب السيرة ... فتتردد اجاباتهم : لبيك .. لبيك .. وينتهي اليه بعد لاي مئة منهم ، لا تلبث ان تقنم غمرات الموت بين يديه صلوات الله وسلامه عليه .. وما هي الا صولة حتى سقطت راية المشركين ، وتلاحق المؤمنون عائدتين الى نبيهم ليجدوا اسارى هوازن مكتفين عنده وقد كفى الله المؤمنين القتال ..

وفي حميم المعركة يبصر صلى الله عليه وسلم بالصحابية الجليلة بنت ملحان قائمة على جمل زوجها ابي طلحة رضى الله عنه وقد أخذ منها الفضيض لانفضاض الناس من حوله فتقول له : يا باني أنت وامى يا رسول الله .. اقتل هؤلاء الذين يهزمون عنك كما تقتل الذين يقاتلونك .. ولكنه لا يجارها في غضبها على أصحابه بل يقول لها : ان الله قد كفى واحسن يا أم سليم ..

وكان رسول الله عائدا بالمؤمنين من تبوك ، حتى اذا وافى منى انفرد عن الجيش بناقته ، يوقدها خذيفة ويسوقها عمار رضى الله عنهما ، فما ان وافى العقبة حتى فوجيء بالثي عشر ملقبا يعترضون مسيرته ، ويريدون ان يزحموه للقضاء عليه ، فلما انتبه اليهم صرخ بهم ، فاقع الله فى قلوبهم الرعب وولوا هاربين .

ويقترح رقيقه الجليلان ان يبعث رسول الله الى عشائر هؤلاء المنافقين بامرهم ليقنلوهم وياتوه برؤوسهم . . . ولكنه يرفض ذلك الراى قائلا : لا . . . اكره ان تتحدث العرب ان محمدا قاتل بالقوم حتى اذا اظهره الله بهم اقبل عليهم يقتلهم !

ولم يكتف صلوات الله وسلامه عليه بالسكوت عن المتأمرين ، بل اعلن لصاحبيه اسماءهم واخذ عليهم العهد بكتماها . . حتى كان الصحابة يطلون على خذيفة بعد اخيه عمار رضى الله عنهما « صاحب السر السدى لا يعلمه غيره . . »

ولاجرم ان مثل اولئك القادرين جديرون بحكم الموت ، ولكن حكمة رسول الله ابعد رؤية من تفكير صاحبيه ، لان الإغراض عنهم أعود بالخير على الدعوة من اخذهم بالعقوبة . هذا الى ان القاصين من الناس الذين لم يحيطوا أنه ضرب من الاحتياط لحماية السلطة ممن تخشى معارضته إياها ، على طريقة الطغاة الذين ما ان ييلفوا غايتهم من التسلط حتى يفرغوا لتصفية شركائهم فيسلة !

وفتح الله على رسوله مكة ، فدخلها منتصرا عزيزا ، مطلقا التصرف فى اهلها وارضها ، ولكن ذلك لم يزد الا تواضعا لربه وخشوعا لجلاله ، حتى ان لحينه لتكاد تمس واسطة رجله تنللا لله . . . فكان فعله هذا درساً خالصاً للفتاحين من امته ، تعلموا منه كيف يتلقون نصر الله بمزيد من التواضع والانكسار لعظمته سبحانه . . بخلاف الحبارين من اهل الجاهلية الاولى والاخرة ، الذين يستقبلون كل نجاح يحرزونه بمزيد من الطغيان ،

وفى المسجد الحرام يحتشد أعداء رسول الله ، الذين أخرجوه من احب ارض الله اليه ، وقد استحوذ عليهم الهول ، وجضرهم كل ما اقترفوه فى حقه وحق اصحابه من سوابق العدوان ، ولبنوا ينتظرون عقابه بما جنت ايديهم والسننهم .

ويشرف رسول الله من على باب الكعبة ، التي طالما دنسوها بأرجاس
الشرك والبغى ، فيحمد الله ويمجده ثم يقول : « يا معشر قريشى .. لا ترتب
عليكم اليوم .. يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين » اذهبوا فانتم الطلقاء » ..

- ٨ -

ويستأثر الله بآبراهيم ابن رسوله ، وقد رزقه على شوق الى الولد ،
وتقارب من أواخر العمر .. ويشاء ربه جلّت حكمته أن يوافق ذلك موعد
كسوف الشمس .. فتسير الظنون في الناس أن الله قد كشفها تكربة لنبيه ،
فما يكاد يعلم خبر ذلك حتى يدعو الناس الى صلاة جامعة ، يعلمهم بها (أن
الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت احد ولا لحياته) وأن
عليهم اذا واجهوا مثل هذه التغيرات الكونية أن يجددوا صلتهم به سبحانه ،
فيستقبلوها بالصلاة والذكر .. فتكون تلك الظاهرة الفلكية مناسبة صالحة
لتعميق شعور المسلمين بفضل ربهم وعظيم رعايته وحكمته ..

- ٩ -

و ذات يوم تضل ناقته صلى الله عليه وسلم أثناء عودته من تبوك ،
وينطلق بعض صحابته للبحث عنها . فينتهزها المنافق اليهودي ابن اللصيت
فرصة للغمز من رسول الله ، حتى ليقول : اليس محمد يزعم أنه نبي ويخبركم
خبر السماء ، وهو لا يدري أين ناقته !! ..

وتبلغ مقالة الخبيث رسول الله فلا تثيرة ولا تاخذة الحمية ، بل لا يزيد
على أن يقول : « انى والله ما أعلم الا ما علمنى الله .. وقد دلتنى عليها ،
وهى فى هذا الوادى فى شعب كذا ، قد حبستها شجرة بزمامها .. »



وبعد .. فتلك مشاهد خاطفة من سيرة الهادى الامين صلوات الله
وسلامه عليه ، تعرض بعض جوانب العظمة من حياة هذا القائد الذى اديه ربه
فاحسن تاديبه ، وزوده من الكمالات بالذخر الذى لم يجتمع لسواه من خلقه ، ثم
قدمه الى الانسانية مبشرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا .
وهيهات للانسان أن يعرف طريقه للاستقرار ما لم يتخذ منه الاسوة الحسنة فى
كل ما يأتى وما يذر ، ويجتنب مخالفته فى كل ما نهى عنه او زجر .
فاللهم ردنا الى حماه ، ووفقنا الى اقتفاء خطاه . ربنا لا ترغ قلوبنا بعد
إذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة ، انك انت الوهاب .

الإسلام

ومعاملة الأسرى

الدكتور أحمد الشرياصي

نشرت الصحف أخبار جريمة خسيصة لجأ إليها الصهاينة اللئام ، للاعتداء على كرامة البشرية ، وللاستخفاف بالحقوق الانسانية ، وهي أن بعض أطباهم سمحت لهم دناعتهم أن يقوموا بعمليات جراحية ، ينقلون فيها أجزاء من أجسام بعض الجرحى الأسرى لديهم ، الى أفراد منهم يحتاجون الى هذه الاعضاء .

وقد ذكرتنا هذه الجريمة بما جاء في بعض كتبهم المقدسة — في نظرهم — من أن القائد اذا انتصر على مدينة واحتلها ، فعليه أن يقتل جميع ذكورها بالسيف ، وأن يأخذ من فيها من النساء والاطفال والبهائم غنيمة له ، فقد جاء في الاصحاح العشرين من كتاب التثنية هذه العبارة :

« حين تقرب من مدينة لكي تحاربها ، استدعها الى الصلح ، فان اجابتك الى الصلح ، وفتحت لك ، فكل الثمنيع الموجود فيها يكون لك للتسخير ، وتستبعد لك ، وان لم تسالك ، بل عملت معك حربا ، فحاصرها ، واذا دفعها الرب الهك الى يدك ، فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ، وأما النساء والاطفال والبهائم ، وكل ما في المدينة وكل غنيمتها فتغنمها لنفسك ، وتاكل غنيمة اعدائك التي أعطاك الرب الهك » .

وهذه الدناءة ينبغي أن تذكرنا بفضل الاسلام العظيم على العالمين ، لانه صان كرامة الانسان من العدوان ، حتى قال رسول الله صلوات الله

وسلامه عليه : « الإنسان بنيان الله ، ملعون من هدم بنيانه » ، ولأنه ضمن للأسرى حقوقا يجب أن تكون قدوة للمتحاربين أجمعين ، وهذه الحقوق يجب علينا أن نعيها ، وأن نعلنها ، ليستبين لكل عاقل أن فضل الإسلام على الإنسانية عنوان فخر وتمجيد : « صبغة الله ، ومن أحسن من الله صبغة ، ونحن له عابدون » (البقرة ١٣٨) .

وإذا كانت اليهودية تدعو المنتصر الى قتل كل الأسرى من الرجال ، وإلى استعباد النساء والأطفال ، فإن القرآن الكريم يمنع هذا العدوان بعد انتصار الحق ، وكسب المعركة بحرب صارمة لا بد منها ، للمقابلة بالمثل ، ولرد العدوان وردع الطفيلان ، فيقول القرآن : « فإذا لقيتم الذين كفروا فاضرب الرقاب ، حتى إذا اتخفتموهم فشدوا الوثاق فإيا منا بعد وإياهم فداء » (محمد ٤) اتخفتموهم : أوسعتهم قتلًا وجرحًا . وشدوا الوثاق : احكموا قيد الأسرى منهم . ومنا : اطلاق الأسرى بلا مقابل .

وأعطى الإسلام الحق لولى المسلمين في أن يعفو عن هؤلاء الأسرى ، إذا رأى المصلحة العامة في ذلك . أو يأخذ منهم الفداء إذا احتاج المسلمون الى ذلك .

ونحن لا ينبغي لنا أن ننسى موقف العفو الرائع من النبي صلى الله عليه وسلم ، بعد أن انتصر انتصاره الباهر في فتح مكة ، حيث قال للهزومين المحصورين من مشركي مكة : ما تظنون انى فاعل بكم .. ؟ فقالوا في طمع ورجاء : خيرا ، أخ كريم ، وابن أخ كريم . قال : اذهبوا فانتم الطلقاء .

وعفا عنهم ، وقد كان قادرا على أن يعمل فيهم السيف كما تردد كتب اليهود .

وعلم النبي اتباعه أن الانتصار مع التمكن من الأسرى لا ينبغي أن يدفعهم الى الاسراف في أسالة الدماء ، بل وذكرهم بالإنسانية وحقوقها المشتركة ، فقال لهم في شأن الأسرى الأرقاء : « ان الله تعالى ملككم إياهم ، ولو شاء لملككم إياكم » .

وقرر أن من سيطر على أسير ، وأعطاه عهد الأمان على حياته ، فلا يجوز له أن يهدر عهد الأمان معه بعد ذلك . فقال عليه الصلاة والسلام : « من أمن رجلا على نفسه فقتله فأنا بريء من القاتل » .

وروى تاريخ الإسلام ما كان من أمر (الهرمزان — وهو أحد أكابر الفرس — وقد أسره أبو موسى الأشعري ، وبعث به الى الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وكان الهرمزان ذكيا داهية ، فاعتصم بالصمت أمام الخليفة ، فقال له عمر : تكلم . فلم يتكلم ، فعاد عمر يقول له : تكلم لا بأس عليك ، وكان عمر يهيم بقتله لما أرتكبه ، فلما سمع الهرمزان كلمة عمر له : « لا بأس عليك » طلب ماء ليشرب ، فجاءوا له بالماء ، وأمسك بالماء وقال لعمر : أنا آمن حتى اشرب هذا الماء .. ؟ فقال له عمر : اشرب فلا بأس عليك .

تسكب الهرمزان الماء على الأرض . وهنا قال أنس لعمر : قد ابتغى
بتولك لا بأس عليك .
فلم يستطع عمر أن يمسسه بسوء ، خضوعا لما أعطاه إياه من أمان .
وأسلم الهرمزان بعد ذلك .

وزاد الإسلام في كرامته وسماحته مع الأسرى ، فأوجب الإسلام على
المسلم أن ينفق على أسيره ، وأن يطعمه مما يأكل ، وأن يكسوه مما يليس ،
والأ يكلفه فوق طاقته في العمل . وها هو ذا القرآن المجيد يصف الأخيار
الأبرار من عباد الرحمن فيقول عنهم في سورة الإنسان ٨ ، ٩ : « **ويطعمون
الطعماء على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا ، إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد
منكم جزاء ولا شكورا** » .

فالقرآن المجيد هنا يدعو المسلم الى أن ينظر الى الأسير نظرة العطف
والرحمة ، لا نظرة التشفي والانتقام ، بعد أن صار أسيرا ضعيفا ، ولذلك
عظمت الآية الكريمة (الأسير) على (المسكين واليتيم) ، وهما ممن
يستحقون المعونة والأشفاق .

وقال معلم الإنسانية سيدنا رسول الله عليه الصلاة والسلام : « **انتقوا
الله في الضعيفين : الملوك والمرأة** » . كما أن مما أوصى به قبل موته
وصيته « **بالصلاة وما ملكت أيمانكم** » .

وحث الإسلام على الترفق بالرقيق حثا قويا بليفا حتى قال الرسول
صلوات الله وسلامه عليه : « **لقد أوصاني حبيبي جبريل بالرفق بالرقيق حتى
ظننت أن الناس لا تستعبد ولا تستخدم** » .

وشجع الإسلام المسلم على أن يتفق وأسيره الملوك له على أن
يكتبه ، والمكاتبة هو أن يتفق المالك والمملوك على أن يؤدي المملوك قدرا
معينا من المال لمالكة في زمن معين ، فإذا فعل المملوك ذلك صار حرا . يقول
القرآن الكريم عن ذلك في سورة النور ٣٣ : « **والذين يبتغون الكتاب مما
ملكتم أيمانكم فكتبوهم أن علمتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذي آتاكم** » .

وبلغت سماحة الإسلام في معاملة الأسرى مبلغا نبيلًا كريما ، حيث
منع التفريق في الأسرى بين الوالدة وولدها ، حتى لا يتعرض الولد للضياع
والحرمان من جهة ، وحتى لا تتعرض الأم للقلق والخوف على ولدها من
جهة أخرى ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم مهددا من يفعل ذلك أقوى
تهديد : « **من فرق بين والد وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم
القيامة** » (١) .

وزاد الإسلام سماحة حين علم أبناءه أن يكونوا مؤدبين مهذبين حتى
في خطاب هؤلاء الأسرى الأرقاء ، فقال الحديث الشريف : « **لا يقل أحدكم :
عبدى وأمتى ، وليقل أمتاى وقتاى** » فكان هؤلاء أفراد من أسرة ذلك المالك
الأسر .

واذا كان التاريخ قد شهد ويشهد محاولات كثيرة من المجرمين الأسرى لحمل الأسرى على ترك عقيدتهم ، بطريق المسف والاكراه ، أو التهديد والوعيد ، أو الاعتداء والتعذيب ، فإن الاسلام قد حرم هذا الاكراه ، وسد الباب فى وجه هذا العدوان ، فقال القرآن الحكيم فى سورة البقرة ٢٥٦ : « لا اكراه فى الدين ، قد تبين الرشد من الغي ، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم » وجعل القرآن المجيد الهداية الى طريق الحق والنور ، من عمل الله الخالق البارئ المصور ، فقال عقب الآية الماضية : « الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور ، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات ، أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » وفى الوقت نفسه وجه القرآن الى ترغيب الأسرى الضالين عن الحق الشاردين عن طريق الصواب فى الاهتداء الى شريعة العدل والنور ليسعدوا ويغزوا وتصير لهم كرامة الاسلام وحقوق المسلمين فقال الحق عز من قائل فى سورة الأنفال (٧٠) يا أيها النبي قل لمن فى أيديكم من الأسرى إن يعلم الله فى قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ، ويغفر لكم والله غفور رحيم . وفى الوقت نفسه حذر الله هؤلاء اللثام الأسرى أن يخدعوا أو يخونوا ، فقال عقب ذلك : « وإن يريدوا خيانتك فقد خاتوا الله من قبل فأمكن منهم والله عليم حكيم » (الأنفال ٧١) .

وها هو ذا سيدنا رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول فى هذا المجال « عجب الله من قوم يدخلون الجنة فى السلاسل » . وهو يريد بهذا - والله أعلم بهمراده - أن من الأسرى المقيدين بالأغلال ، من يشرح الله صدره للإسلام فيسلم ، فيستحق رضوان الله عليه ، فيصير الى نعيم الجنة ، وقد كان قبل ذلك مقيدا بسلاسل الأسر والاسترقاق .

جاء فى كتاب « فتح البارى » لابن حجر : « قال : خير الناس للناس ياتون بهم فى السلاسل فى أعناقهم حتى يدخلوا فى الاسلام .

قال ابن الجوزى : معناه أنهم أسروا وقيدوا ، فلما عرفوا صحة الاسلام دخلوه طوعا فدخلوا الجنة ، فكان الاكراه على الأسر والتقييد هو السبب الأول ، وكأنه أطلق على الاكراه التسلسل ، ولما كان هو السبب فى دخول الجنة أقام السبب مقام السبب .

وقال الطيبي : ويحتمل أن يكون المراد بالسلسلة الجذب الذى يجذبه الحق من خلص من عباده من الضلالة الى الهدى ، ومن الهبوط فى مهاوى الطبيعية الى العروج للدرجات » (٢) .

وقد اتسمت ساحة الاسلام فى هذا المجال حتى شملت عبيد المشركين أنفسهم ، فقد كان من هدى الرسول عليه الصلاة والسلام أن يمتق عبيد المشركين ، اذا تركوهم ، وهاجروا الى المسلمين مهتدين ، وكان النبى صلوات الله وسلامه عليه يقول فى شأن هؤلاء الأرقاء : « هم هتقاء الله عز وجل » .

ولكن .. ليس التسامح مع الاسرى أمرا يفيد معنى التخسائل أو التهاون أو الضعف في مخاطبة الأعداء ، وإنما هو أمر يأتي مع القوة ، وبعد إعطاء المعركة الواجبة حقها من القوة والشدة والصرامة ، فالقرآن الكريم يطالب بالشدة في أنفاس المعركة إذا لزمته ووجبت ، حتى لا يطمع فينا الأعداء ، أو يستخف بنا الطغاة .

ولذلك قال الحق جل جلاله كما عرفنا : « فإذا لقيتم الذين كفروا (أى في المعركة) فاضرب الرقاب ، حتى إذا اخنتموهم فشدوا الوثاق » . ثم ماذا عقب هذا ؟ « فإيا منا بعد وإيا فداء ، حتى تضع الحرب أوزارها » . وذلك لأن الحرب في نظر الاسلام تقدر بقدرها — كما يعبر بعض المفسرين — وليست الحرب في نظره ضراوة بسفك الدماء ، ولا تلذذا بالقهر والانتقام ، ولا توسعا في العلو والسيطرة ، ولذلك خيرنا الله تبارك وتعالى — بعد استكمال النصر على الأعداء بالقوة والسلاح — بين المن على الاسرى وإطلاق سراحهم بفك الوثاق ، أو بالفداء بالمال ، أو تبادل الاسرى ، ولم يأذن الله سبحانه في هذه الحال بقتلهم ، أو التمثيل بهم ، أو القسوة عليهم دون مسوغ أو تبرير .

السماحة مع الاسرى تكون بعد رد العدوان وردع الطغيان ، وانتماء النصر ، ولذلك يقول القرآن المجيد في سورة التوبة (١٢٣) : « يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة ، واعلموا أن الله مع المتقين » .

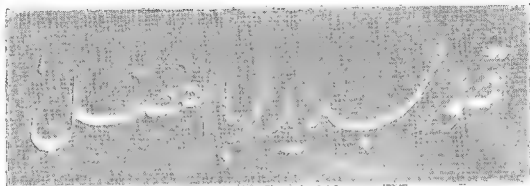
ويقول في موطن آخر : « يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلب عليهم وماؤهم جهنم وبئس المصير » .

وأخيرا .. يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام : ادرسوا جيدا تعاليم دينكم في الحرب والسلام ، وطالبوا العالم كله بأن يفتح عيون أبنائه ليروا الفرق الواسع بين سماحة الاسلام ودناءة أعداء الاسلام . وكونوا كما يريد لكم ربكم دائما : أقوىاء أعزاء عند القتال والصدام ، وكونوا شرفاء سمحاء بعد أن تستكملوا النصر ، وبذلك يتضاعف الأجر ، ويعلو الذكر ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم .

(١) ذكره الامام ابن القيم في كتابه (زاد المعاد) ج ٢ ص ٦٨ المطبعة المصرية .

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر ، ج ٦ ص ١٤٥ طبعة السلفية .

بحث في الاقتصاد الاسلامي



للدكتور احمد صفي الدين عوفى

١ - مقدمة :

اجمع المسلمون على تحريم الربا في الجبلة وان اختلفوا في التفاصيل ، واتفقوا على انه نوعان : ربا الفضل وربا النسيئة . اما ربا النسيئة فهو ربا الجاهلية ، وصورته ان يكون للرجل على الرجل الدين فيحل الدين فيقول له صاحب الدين : تقضى او تربى اى تدفع لى ما عليك او تزيدنى لو اهلك . فابطله الله عز وجل بقوله : (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله واثروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين) وهو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم في خطبته يوم عرفة في حجة الوداع : وربا الجاهلية موضوع ، واول ربا اضعه ربا العباس بن عبد المطلب فانه موضوع كله .
اما ربا الفضل فهو ربا بينه النبي صلى الله عليه وسلم وهو موضوع بحثنا .

٢ - التعريف بربا الفضل :

الأصل في هذا الموضوع هو الكثير من الأحاديث الصحيحة التي رواها اكابر الصحابة رضوان الله عليهم عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ونكتفى هنا بذكر اثنين منها فقط : -
الأول عن عباد بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم : « الذهب بالذهب ، والفضة بالفضة ، والبر بالبر ، والشعير بالشعير ، والتمر

بالتبر، والملح بالملح مثلا بمثل سواء بسواء يدا بيد ، فإذا احتشم —
نبيموا كيف تستم إذا كان يدا بيد » . رواه أحمد ومسلم . وللنسائي وابن
ماجه وأبي داود نحوه .

الثاني عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« الذهب بالذهب ، والفضة بالفضة ، والبر بالبر ، والشعير بالشعير ،
والتبر بالتبر ، والملح بالملح مثلا بمثل يدا بيد ، فمن زاد أو استزاد فقد أربى
الأخذ والمعطى فيه سواء » . رواه أحمد والبخاري .

ولقد أجمع المسلمون على تحريم الربا في الأشياء الستة المنصوص
عليها ، وقال أهل الظاهر النافين للقياس إن الربا محصور فيها فقط ، وقال
جمهور أهل القياس أنه يجري في غيرها وأنه ممتد منها إلى سائر الأشياء
التي تشاركها في العلة ، ولكنهم اختلفوا في تحديد تلك العلة اختلافا لم يسبق
له مثيل في تاريخ الفقه الإسلامي .

قال أبو حنيفة وأحمد في إحدى الروايتين عنه : العلة في الذهب والفضة
هي الوزن وبذلك أجريا الربا في الحديد والرماس والنحاس وغيرها من
الموزونات ، وقال مالك والشافعي وأحمد في الرواية الأخرى : هي كونهما
جنس الاثنان فلا يتمد الربا منهما إلى غيرهما من الموزونات وغيرها
لعدم المشاركة .

أما الأصناف الأربعة الباقية ، فإن الخلاف في علتها كثير جدا بين
المذاهب وفي داخل المذهب الواحد ، وسنكتفي بذكر أشهر الأقوال فيها .
قالت الحنفية : هي الكيل ، وقالت المالكية : هي الاقتيات والادخار وما يصلح به
الطعام المتقوت ، وقالت الشافعية : هي الطعمية (بضم الطاء) أي مجرد
كون الشيء مطعوما ، وقال فريق من الحنابلة كقول الحنفية وقال بقيتهم كقول
الشافعية . وقالت المعتزلة بمثل ما قالت الحنفية في الأصناف الستة . وقال
ربيعة : كل ما يجب فيه الزكاة يحرم فيه الربا فلا يجوز بيع بمر ببعيرين .
واتفق العلماء على أنه لا يجوز بيع الربوي ببعه ببعض متفاضلا سواء
كان يدا بيد أو أحدهما مؤجلا ، وعلى أنه لا يجوز التفرق قبل التقابض إذا باعه
بجنسه أو بغير جنسه مما يشركه في العلة كالذهب بالفضة والبر بالشعير ،
وعلى جواز بيع الربوي بربوي لا يشاركه في العلة متفاضلا ومؤجلا كببيع
الذهب بالحنطة وبيع الفضة بالشعير ، وعلى جواز التفاضل عند اختلاف
الأجناس إذا كان يدا بيد كصاع تمر بصاع شعير .

ولقد أحصى ابن حزم الظاهري في باب البيوع من كتابه « المحلى »
(الجزء الثامن ، ص ٤٦٧ — ٥١٨) جميع علل الفقهاء في تحريم ربا الفضل
وأما في إيراد حججهم وتقنيدها بمنطق رصين شابه بمهاترات وددنا لو
ترفع عنها .

وكان ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهما يعتقدان جواز بيع الجنس
بعضه ببعض متفاضلا إذا كان يدا بيد ، وأن الربا لا يحرم في شيء من الأشياء
إلا إذا كان نسيئة أي مؤجلا ، وكان معتمدهما الحديث المتفق عليه عن أسامة
ابن زيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : أنما الربا في

النسيئة . ثم رجعا من قولهما هذا عندهما بلغهما حديث النبي من التفاضل في غير النسيئة . وذكر مسلم رجوعهما صريحا حين بلغهما حديث أبي سعيد الخدري رضى الله عنه وقد أجمع المسلمون على ترك العمل بظاهر حديث أسامة ..

٣ - الجهود التى بذلت لحسم الخلاف :

نجد فى العصور الماضية وفى عصرنا هذا رجالا بذلوا مشكورين جهودا متواصلة لحسم الخلاف القائم حول العلة فى ربا الفضل ، ولكنهم لم يسلموا أنفسهم من الخلاف . فمثلهم الذين استصوبوا رأى أهل الظاهر حين رأوا ضعف العلل التى استنبطها الفقهاء علاوة على اضطرابها ، ومنهم المتشبهون برأى ابن عمر وابن عباس ومن تابعهما غير ملتفتين الى رجوعهما أو الى إجماع الأمة ، ومنهم من رجح إحدى العلل التى قال بها أحد الأئمة على ضوء الحكمة التى انكشفت له . وأشهر من سلك هذا الطريق أبو حامد الغزالي وابن رشد وابن قيم الجوزية رحمهم الله . فقال الأول أن الحكمة فى منع التفاضل بين جيد الصنف الواحد ورديئه هى استقاط الشارع الحكيم غرض التمتع فى المطعومات لتكافؤ الجيد والرديء منها فى أصل الفائدة ، ومن هنا بدت له صحة علة الشافعى أى أن العلة فى الأصناف الأربعة كونها مطعومة . وقال الثانى هكذا : لما كانت الأشياء المكيلة أو الموزونة لا تختلف كل الاختلاف وكانت منافعها متقاربة ، ولم تكن حاجة ضرورية لمن كان عنده منها صنف أن يستبدل بذلك الصنف بعينه إلا من جهة السرف كان المعدل فى هذه الأشياء أن يتباع بعضها ببعض متساوية فى الكيل أو الوزن إذ كانت لا تختلف فى المنافع ، ومن ثم ذهب الى ترجيح علة الحنفية فى الأصناف الستة أى كون هذه الأشياء موزونة أو مكيلة . والحقبة أن عبارة ابن رشد فى فاية القموض وما ذكرناه هنا هو غاية ما فهمناه منها . وقال ثالثهم ابن القيم الربا نوعان : جلى وهو ربا النسيئة الذى حرم قصدا ، وخفى وهو ربا الفضل الذى حرم وسيلة وسدا للمسالك التى تقود الناس الى ربا النسيئة . وصرح ابن القيم بتصويبه لعله المالكية فى الأصناف الأربعة أى كونها أقوات الناس وما يصلحها .

ولقد ارتضى الباحثون المعاصرون قول ابن القيم فى حقيقة ربا الفضل ، ولكنهم لم يتابعوه فى ترجيح علة المالكية كما لم يحاولوا استصواب أى علة معلومة أو الكشف عن علة جديدة .

٤ - رأينا فى مسلك الفقهاء :

من السهل علينا أن نعبر عن رأينا فى منهج الفقهاء الذين وفقوا فى الكشف عن العلل المختلفة باستخدام اصطلاح شائع فى الرياضيات الحديثة .

اتفق علماء الرياضيات فى وقتنا هذا على اعطاء لفظة « مجموعة » أو « فئة » معنى أضيق مما عرفه الناس عامة ، فقالوا المجموعة أو الفئة عدد من الأشياء تشترك جميعها فى خاصية أو أكثر تميزها تمييزا لا لبس فيه ولا غموض عن سائر الأشياء الأخرى . مثال ذلك لو تحدثنا عن مجموعة الأشياء التى أجمع المسلمون على تحريم الربا فيها فالتنا نقصد الذهب والفضة والبر والشعير والتبر والملاح ولا شيء سواها حيث أن الخاصية المميزة لها من سائر الأشياء هى تحريم الربا فيها بإجماع المسلمين ، وأما غيرها فلم يجمع المسلمون عليها . ويسمى الرياضيون الأشياء المكونة للمجموعة أى التى تحويها المجموعة أعضاء أو عناصر المجموعة ، فنقول على سبيل المثال الشمير عضو أو عنصر فى مجموعة الأشياء التى يجزى فيها الربا بالاجماع . وبهذا الاصطلاح السائد عند الرياضيين نقول ما يلى :

فلاحظ أن جميع الفقهاء درجوا على تقسيم الأشياء الستة التى خصها النبى صلى الله عليه وسلم إلى مجموعتين مستقلتين أو أكثر من ذلك . ففراهم وضعوا الذهب والفضة فى مجموعة منفصلة ، ثم عمدوا إلى الأربعة الباقية ففترت اعتبروها مجموعة واحدة ، مرة جعلوها مجموعتين فوضعوها البر والشعير والتبر فى واحدة ، والملاح فى أخرى ، وحينا وزعوها بين ثلاث مجموعات تشمل أولاها البر والشعير ، والثانية التبر ، والثالثة الملاح . وبمسد هذا التوزيع أو ذاك نظروا إلى كل مجموعة كأنها ممثلة تمثيلا صادقا لمجموعة كبرى تتكون من عناصر تشترك جميعها فى صفة أو صفات تميزها عن بقية الأشياء ، ثم اعتبروا هذه الصفة أو تلك الصفات المميزة العلة المانعة للتفاضل فيها . ولعل هذه الطريقة التى اتبعوها فى تقسيم الأصناف المنصوص عليها هى من أهم الموائل التى حجت الحقيقة التى انكشفت لنا وأدت إلى اختلاف وجهات النظر بينهم والله أعلم .

٥ - هل من علة جديدة ؟

أن الذى استرعى انتباهنا هو ذكر الشارع الحكيم للأشياء الستة من غير تفريق بينها ، فلذلك لآح لنا أنه ربما كان الأصوب أن ينظر إليها كعناصر فى مجموعة واحدة لا غير ، وأنها تشترك جميعا فى خاصية تميزها عن سائر الأشياء الأخرى . وبدا لنا أيضا أنه لو عثرنا على هذه الخاصية المميزة لاستطعنا أن نقول هى علة التحريم وأن الربا يجزى فى كل الأشياء التى تتوافر فيها هذه الخاصية .

وإذا استعرضنا الصفات التى يمكن أن تكون مشتركة بين جميع الأصناف الستة لظهر لنا أن الأمر الذى يستحق البحث هو احتمال استخدام البر والشعير والتبر والملاح كنفود سلمية فتكون مشاركة للذهب والفضة فى أداء وظيفة النقود . فيجب علينا أولا أن نثبت أن الأصناف الأربعة كانت فعلا نفودا سلمية . وثانيا أن نبحث عن حكمة القيود التى وضعها الشارع عند

التعامل بالربويات - وثالثا أن ننظر فيما يترتب على قولنا أن علة الربا هي الأصناف الستة هي النقدية .

٦ - كيفية التعامل بالذهب والفضة في العهد النبوي :

يظهر لنا من وصف المقریزی لتقود الجاهلية وصدر الإسلام أن النبي صلى الله عليه وسلم وجد الناس يتعاملون بالذهب والفضة وكان بعض هذين المعدنين مسكوكا وبعضها تبرا أي غير مسكوك . وكانت القطع المسكوكة التي ترد عادة من الروم والفرس تختلف في الوزن خاصة الدراهم من الفضة لذلك توأما الناس على صنع معلومات لوزن المعدنين وسماوا زنة واحدة منها من الفضة مسكوكة كانت أو تبرا : درهما ، كما سماوا زنة صنجة أخرى من الذهب مسكوكا كان أو تبرا : دينار . والثابت أنهم كانوا يرجعون دائما إلى الميزان لتقدير عدد الدراهم والدنانير ولا يعملون أبدا على عد القطع المسكوكة لاختلاف أوزانها .

ولما بعث النبي صلى الله عليه وسلم أقر الناس على ما كانوا عليه ، وحسم ما قد ينشعب من نزاع عند الوزن بأن جعل صنع مكة الوحدات القياسية التي يجب أن يرجع إليها كما أمر بالرجوع إلى مكيال المدينة عند الاختلاف في الكيل بقوله صلى الله عليه وسلم : « المكيال مكيال أهل المدينة » ، والوزن وزن أهل مكة » (رواه أبو داود والنسائي والبخاري وصححه ابن حبان والدارقطني جميعهم عن ابن عمر . وفي رواية عن ابن عباس مكان ابن عمر) . وقطع النبي صلى الله عليه وسلم مادة الخلاف حول نوعية الذهب عند التبادل بأن ساوى بين جميع أنواعه من مضروب ومنقوش وجيد ووديء وصحيح ومكسر وحلى وتبر وخالص ومغشوش ، وكذلك في الفضة . وبهذا الأمر الواضح الصريح أسقط الشارع الحكيم القيمة الذاتية للمعدنين دفعة واحدة وأصبح عليهما صفة التجانس اللازم توافرها في النقود المعدنية أو النقود السلعية لكي تكون مقياسا ثابتا للقيمة ، وبذلك استطاع الدرهم والدينار أن يؤديا الوظيفتين الرئيسيتين والثانويتين للنقود . أما الوظيفتان الرئيسيتان فهما : (أ) وسيط للمبادلة (ب) مقياس للقيمة ، وأما الوظيفتان الثانويتان فهما : (ج) مستودع للقيمة (د) مقياس للدفع المؤجل .

ولو لم يحرم النبي صلى الله عليه وسلم التفاضل في المعدن الواحد بسبب الاعتبارات النوعية ، ولو لم يأمر صلى الله عليه وسلم باستعمال وحدات قياسية معينة عند الوزن وهي صنع مكة لاستفاد من الوضع المضطرب أهل الفس الذين يعرفون جيدا خصائص المعادن والفروق بين الصنجات المختلفة ، وذلك لأنه في وسع الحاذق منهم أن يفتق الناس بوجود تفاوت حقيقي أو متوهم في نقاء الكميات المتبادلة من الذهب أو الفضة فيأخذ منهم مقادير أكبر مقابل مقادير أقل بحجة أنه أعطى جيدا وأخذ رديئا بينما يعلم تماما أن القوة الشرائية لكل أنواع الذهب والفضة واحدة في عين البسطاء . وبهذا الأسلوب المحبب للذين لا يرتقبون في ضحاياهم قرابة ولا ذمة استطاع بعض

الأفراد خاصة اليهود الذين مارسوا تزيف النقود وتعويع الموازين أن يكتروا أموالهم بالباطل . ولو أخذنا برأى ابن رشد القائل : يظهر من الشرع أن المقصود بتحريم الربا إنما هو لمكان الغبن الكثير فيه . لكان من حقنا أن نقول لقد كان ربا الفضل ربا حقيقيا وحرمة قصدا لا وسيلة . وأن الفارق الوحيد بينه وبين ربا النسيئة هو أن المرابي قد استغل في الأول جهل الناس ، وفي الثاني عجزهم عن سداد الدين عند حلوله .

٧ - النقود في المجتمعات المتخلفة :

تعمينا معرفة النظم الاقتصادية التي كانت موجودة الى وقت قريب جدا في المجتمعات البدائية التي تسودها الامية فكرة صادقة مما كان سائدا عند العرب الاميين خاصة أهل البادية حينما بعث النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن ثم تنضج للقاريء صحة ما ذهبنا اليه اي أن البز والشعير والنمر والملح كانت نقودا سلعية (أو سلعا نقدية كما يقول آخرون) . والمقصود بالسلعة النقدية أي سلعة يستخدمها أفراد مجتمع بدائي لقياس قيم السلع الأخرى . وغالبا ما نجد أكثر من سلعة نقدية في نفس المجتمع .

مثال ذلك ما كان شائعا بين أفراد إحدى القبائل التي تعيش في جزر الفلبين من استخدامهم للأرز الذي هو غذاؤهم الرئيسي والخنازير والجواميس وقلادات الذهب والخرز والأجراس والجرار المملوءة بالخمر المصنوع من الأرز ونوع خاص من البطاطين لتكمين موتاهم كسلع نقدية . وتستخدم بعض قبائل الكنفو كنقود سلعية قضباناً من الحديد وعدداً من الأشياء المصنوعة من هذا المعدن مثل الفؤوس والخواتم . ويعتبر الملح سلعة نقدية عند بعض القبائل التي تعيش في إقليم كتانجا ، وكان معتبرا كذلك في أواسط سيراليون حتى عام ١٩١٢ الذي تم فيه انشاء خط السكة الحديد وفقد الملح مكانته بسبب الكميات الكبيرة التي أصبحت تصل منه الى الأسواق .

ولقد كان شعب الولف الإفريقي المسلم الذي يعيش في المنطقة الممتدة بين نهري السنغال وغامبيا يستعمل الحبوب والثياب التي يصنعها من القطن المحلي كنقود سلعية . وكذلك كان شائعا في كثير من أجزاء السودان استعمال الذرة والثياب المصنوعة محليا كنقود سلعية بجانب الريال الإسباني، كما استعمل سكان الجزء الغربي منه بجانب الذرة الدخن قطعا صغيرة من الحديد يصنعون منها الرماح والمدى والبلط وما إليها لنفس الغرض . أما في الصفقات الكبيرة فقد كانوا يتبايعون بالبقرة . وكانت الخاصية المميزة للثياب التي استخدمها السودانيون وشعب الولف كنقود سلعية أنها ثابتة الطول والعرض .

٨ - طبيعة النقود السلعية :

يمكننا ان نلخص ما يهمنى من آراء الباحثين الذين قاموا بدراسة النظام الاقتصادية فى المجتمعات البدائية فيما يلى : -

أولاً - تعتبر النقود السلعية مرحلة انتقالية بين نظام المقايضة البحتة ونظام النقود المعدنية .

ثانياً - يجب التحقق من مكانة الشيء فى أى نظام اقتصادى قبل اعتباره نقداً أو مجرد سلعة سوقية ، فان كان يستعمل لقياس قيم السلع الأخرى أو يستبدل بسلع مختلفة أو يعطى مقابل خدمة فهو نقد حتى لو استخدم أحياناً فيما يتصل بالسحر أو الزينة .

ثالثاً - يعتبر الشيء سواء كان معدناً أو حجراً أو صدفاً أو سلعة استهلاكية أو غير ذلك نقداً طالما استخدم فى الدفع مقابل الأشياء الأخرى أو الخدمات المختلفة .

رابعاً - زعم كارل بوخر (اقتصادى المائى عنى بدراسة التطور الاقتصادى فى أوروبا) أن نقد أى قبيلة هو تلك السلعة التجارية التى لا تنتجها بنفسها بل تحصل عليها بانتظام من القبائل الأخرى من طريق المبادلة . ويعرف هذا القول بقانون بوخر .

خامساً - من أهم خواص السلعة النقدية التجانس (أى أنها ذات طبيعة واحدة أو تكوين واحد حتى تبدو متشابهة تساماً مثل الثياب التى استخدمها شعب الولى والسودانيون) وسهولة النقل وقابلية التجزئة وبقاء التلف ، كما أنها تشارك النقود المعدنية فى أداء الوظائف الاساسيتين (أى كوسيط للمبادلة وكمقياس للقيمة) ولا يشترط أن تشاركها فى القيام بالوظائفين الفرعيتين (أى كمستودع للقيمة وكمقياس للدفع المؤجل) ، وذلك لأن السلعة النقدية تختلف من النقود المعدنية بكونها ذات قيمة ذاتية خيرها من السلع السوقية التى يحكمها قانون الطلب والعرض ، وبأنها أسرع تلفاً .

سادساً - لم تكن المجتمعات البدائية التى استخدمت النقود السلعية فى معزل من المجتمعات المتقدمة التى كانت تستخدم النقود المضروبة .

٩ - اثبات أن البقر والشعير والتمر

والملح كانت سلعا نقدية :

ذكرنا فى البند السابق أن الحبوب والملح وبعض الحيوانات قد استعملت بالفعل كنقود سلعية فى بعض المجتمعات البدائية المعاصرة ، لذلك ليس بمستغرب لو استعمل العرب فى الجاهلية والإسلام هذه السلع الرئيسية الأربع وكذلك الإبل والبقر والغنم كنقود سلعية ، بل من المؤكد أنهم فعلوا ذلك كما يفهم من العديد من الأحاديث النبوية والآثار المروية عن الصحابة الواردة فى استخدام هذه الأشياء كوسيط للمبادلة نظراً لقلّة الذهب

والفضة بل لا نعداهما في بعض الأمكنة . روى البيهقي في سننه أن عمرو بن حريش قال لعبد الله بن عمرو بن العاص : أنا بأرض ليس فيها ذهب ولا فضة أمابيع البقرة بالبقرتين والبمير بالبعيرين والشاة بالشاتين . وهذا دليل على أن الناس في هذا الموضع يتبايعون بالابل والبقر والغنم كما قلنا . وقال الإمام الشافعي رحمه الله : إن الحنطة تجوز بالحجاز التي بها سنت السنن جواز الدنانير والدراهم . وقال أيضا : إن الحنطة ثمن بالحجاز ، والذرة ثمن باليمن . وهذا يؤكد صحة ما قلناه عن السلع التي خصها النبي صلى الله عليه وسلم بالذكر ، أي أنها كانت سلعا نقدية .

١٠ — حكمة منع التفاضل في الصنف الواحد :

يستفاد من بعض الأخبار الصحيحة أن نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن بيع الصنف بعضه ببعض متافضلا جاء بعد فتح خيبر وعلمه بما كان يجري في سوقها الذي احتكره اليهود قرونا طويلة من بيع الصاع بالصاعين ، والصاعين بالثلاثة ، من الصنف الواحد بحجة التفاوت النوعي بين المتساير المتبادلة . ومن هنا نشأت نسب متعددة لتقويم الأنواع المختلفة داخل الصنف الواحد الذي اتفق الناس على استخدامه كتنقود سلعية . ومثل هذا الوضع يفرض على المتبايعين أن يتساويا في معرفة قيم السلع السوقية بالنسبة لكل نوع من هذه النقود السلعية حتى لا يخدع أحدهما الآخر . وهذا شرط لا يمكن أن يستوفيه إلا فئة قليلة من جمهور المستهلكين . ويبدو أن اليهود استغلوا هذا الوضع المربك للعرب الأميين عند التعامل معهم .

وعلى ضوء هذه الحقائق نستطيع أن نفهم تحريم الشارع الحكيم للتفاضل في الصنف الواحد بمثابة اصلاح للنظام الاقتصادي القائم يستهدف ابطال النسب المتعددة داخل كل سلعة نقدية لكي تصبح مقياسا موحدا سهل الاستعمال . ولولا هذا التحريم لأصبحت هذه النسب قوانين ثابتة وأحكاما شرعية راسخة تستمد قوتها من إقرار النبي صلى الله عليه وسلم للعاملين بها . ويمكننا أن نتصور كثرة النسب التي كان من المحتمل استنباطها بواسطة الفقهاء عن طريق القياس ، وربما اضطروا الى وضع جداول لها وبذلك تصير عملية التبادل عسيرة على أهل الورع من المتعلمين فضلا عن الأميين . وبعبارة أخرى لقد خدم التحريم جمهور المستهلكين بأن وضع في أيديهم مقياس بسيطة لتقويم السلع المختلفة وبذلك وفر عليهم كثيرا من الوقت الذي كان يضيع في النزاع حول الفروق النوعية للنقود السلعية وحماهم من الغبن الذي كثيرا ما وقع عليهم نتيجة لجهلهم بهذه الأمور .

١١ — كيف رعى الشارع الحكيم مصالح الآخرين ؟

والذي يمتد الأمر ويحول دون رؤية الحكمة في منع التفاضل في الجنس الواحد بوضوح هو أن هذه الأجناس التي أصبحت تقوم بدور النقود هي في

المقام الأول سلع استهلاكية لها تيم ذاتية تعتمد على درجاتها من الجودة والرداءة وغير ذلك من الصفات التي تهتم المستهلك . ونتيجة لتفضيل المستهلكين بعض أنواع الجنس الواحد على بعض كان من الطبيعي أن يطالب أحد المتبايعين بأن يزداد في الكيل أو الوزن بحجة أنه أعطى أجود مما أخذ ومن ثم ظهرت النسب المتعددة لمقايضة الأنواع . ولما كان منع التفاضل الذي يعنى النهى عن التعامل بهذه النسب في الجنس الواحد يرمى مصلحة جمهور المستهلكين الذين لا يعرفون الفوارق الدقيقة بين الأنواع بنفس القدر الذي يعرفه الملامزون للأسواق ومصلحة الأميين الذين لا يحسنون الحساب ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم رعى أيضا مصلحة المتبايعين عند وجود تفاوت حقيقى أو ظنى بين الأنواع المتبادلة بإرشادهم الى الطريقة المثلى للنسب بينها لئلا يخل في الحديث المروى عن أبى سعيد الخدرى قال : جاء بلال الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بتمر برنى ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم من اين هذا ؟ قال بلال : كان عندنا تمر ردى فبعت منه صاعين بصاع ليطلع النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم منذ ذاك : أو عين أريا ، لا تفعل . ولكن اذا أردت أن تشتري فبع التمر ببيع آخر ثم اشتر به . (رواه البخارى ومسلم والنسائى) . والتمر البرنى أجود أنواع التمر كما يقال ، وربما كان تأوه النبي صلى الله عليه وسلم بمالغة في الزجر أو تألما من سوء فعل بلال أو فهمه والله أعلم . فالطريق التويم هو أن يبيع المرء ما عنده من تمر ردى بدرهم أو دنائير أو قمح أو أى سلعة نقدية أخرى ثم يشتري بثمنه التمر الجيد .

١٢ - مزايا هذا التوجيه النبوى :

والهم في الأمر هو ضرورة ادخال وسيط آخر للمبادلة لتقدير النسبة التي يجب أن يتم بها تبادل نوعى التمر بدل التوصل اليها مباشرة عن طريق المساومة كما فعل بلال . والنسب الذى استوجب هذا الاجراء هو أن التمر قد فقد في هذه العملية وظيفته كسلعة نقدية واصبح كل نوع منه سلعة سوقية مستقلة بذاتها فلذلك احتاج المتبادلان الى تقويم ترميهما بواسطة مقياس مستقل لكى يتوصلا الى نسبة عادلة للتبادل . وبعبارة أخرى ، لقد يكن الشارع الحكيم ميكانيكية (أو آلية) السوق من القيام بدور الحكم المحلئ لتقدير النسبة التي يجب أن يتم على أساسها تبادل الجيد والردى من التمر . وتم اعطاء الفرصة لآلية السوق لكى تعمل بواسطة السلعة النقدية الجسدية التي أدخلت في العملية فادت الى شطرها الى عمليتين مستقلتين وأحالتها الى بيع منفرد وشراء منفرد .

وأقل ما يقال عن محاسن الطريقة التي أرشد اليها النبي صلى الله عليه وسلم حتى ولو أدت أخيرا الى نفس النسبة التي يتوصل اليها المتبايعان مباشرة أنها أبعد الوسيطتين الحاقا للغب بأحدهما وأقلها مضيعة للزمن علاوة على أنها صانت لكل سلعة نقدية وحدتها القياسية التي اكتسبتها بمنع بيع بعضها ببعض متفاضلا .

١٢ — حكمة منع بيع الأصناف الربوية نساء :

اجمع المسلمون على منع بيع الصنف الربوي ببعضه ببعض نساء ، واتفقوا على منع النساء من بيع الذهب بالفضة وفى بيع أحد الأصناف الأربعة الباقية بآخر منها . كما اتفقوا على جواز بيع أحد الأصناف الأربعة بالذهب أو الفضة نساء .

والسرى ذلك — والله أعلم — هو منع الغبن الفاحش الذى قد يلحق بأحد المتبايعين على واحدة من هذه الصور . مع افتراض عدم التفاضل فى المقادير المتبادلة :

أولاً — إذا باع شخص شيئاً بجنسه مؤجلاً فهو بمثابة دين للمشتري ، وعليه يجب مراعاة أحكام الديون فى هذه الصورة حتى لا يظلم أحد الطرفين الآخر كان يعطى ردينا ويشترط أن يرد إليه جيداً ، أو يعطى فى زمان رخصه ويشترط أن يرد إليه فى زمان غلاته .

ثانياً — إذا بيع الذهب بالفضة نساء ، أو أحد الأصناف الأربعة الباقية بآخر منها نساء فانه قد يلحق أحد الطرفين غبن كبير نتيجة للتقلبات المفاجئة فى أسعار هذه السلع بسبب أو آخر مثل وصول قافلة محملة ببعض هذه السلع فتهدد قيمتها بنسبة كبيرة عما كانت يوم إبرام الصفقة ، أو أصابة المحاصيل بآفة فيرتفع ثمنها كثيراً عما كان يوم عقد البيع . أما جواز بيع الأصناف الأربعة بالذهب أو الفضة فيرجع أساساً لثبات قيمة هذين المعدنين نتيجة لضالة الكميات المستخرجة منها سنوياً بالنسبة لما هو فى أيدي الناس بحيث لا تؤثر الزيادة السنوية فى العرض الكلى لكل من هذين المعدنين تأثيراً يذكر . وبفضل هذه الخاصية التى تميز بها هذان المعدنان عما سواهما من أنواع النقود السلعية أصبحا قادرين على قياس الدفع المؤجل .

ثالثاً — القصد من منع التفرق قبل التقابض هو انجاز عملية التبادل بالسرعة التى تؤمن الطرفين من التقلبات المفاجئة للأسعار ، وفى جو من الثقة التى قد تنزعزع بسوء ظن أحد المتبايعين بالآخر إذا غاب عن نظره بسبعته قبل أن يوفيه حقه خاصة إذا كان ممن عرفوا بالفش والخيانة مثل اليهود الذين وصفهم جل ثناؤه بقوله : « ومنهم من أن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائماً ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيل » . (آل عمران : ٧٥) ، وفسر ابن عباس قوله عز وجل « ومنهم من أن تأمنه بدينار لا يؤده إليك » بقوله : « ومنهم من يتابعه بشئ الدينار لا يؤده إليك » ، وفسر السدى قوله تعالى : « إلا ما دمت عليه قائماً » بقوله : « إلا ما دمت قائماً على رأسه بالاجتماع معه والملازمة له » والمعنى أنه إنما يكون معترفاً بما دفعت إليه ما دمت قائماً على رأسه فإن انظرت وأخرت أنكرك ، وكانوا يستحلون الخيانة بحجة أنه لا أثم عليهم فيها أصابوا من أموال العرب وغيرهم من الأمم (١٤) . أما عدم مفارقة أهل التقوى والصلاح بعضهم البعض حتى يتم التقابض فالثما نفسره بحرصهم البالغ على طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم فى كل ما أمر وإن لم يروا ما يستوجبونه لأنهم يأتون بعضهم البعض — والله أعلم .

١٤ - كيف استغل اليهود سذاجة العرب ؟

ذكرنا في حديثنا عن الذهب والفضة أن التمييز بين الجيد والرديء لا يعرفه العامة إلا إذا كان الفارق فاحشا ، أما الفوارق الضئيلة فلا يدركها إلا الحذاق من الناس . . . وكذلك يمكننا أن نقول هنا لقد كان أهل المدينة أعرف الناس بأنواع التمر لكثرة النخيل عندهم ولهذا لم يروا بأسا في بيع صاع من الجيد بصاعين من الرديء ، بينما كان أكثرهم لا يميزون بين البر والشمير حتى قالوا أنهما صنف واحد وهكذا اعتبرهما مالك ومعظم علماء المدينة . وهناك من عدّ الدخن والذرة والأرز صنفا واحدا بينما يستطيع أقوام التمييز والمفاضلة بين كثير من الأنواع التي يحويها أى واحد من هذه الأصناف التي اعتبرت صنفا واحدا . فإذا كان كثير من الناس لا يفرقون بين الصنفين أو الثلاثة ، فكيف نتوقع من الأعراب أن يميزوا بين أنواع التمر بنفسى القدر الذى يفعله المتكهنون من أهل المدينة ؟

ويبدو أن يهود المدينة قد استغلوا لأقصى حد عدم تساوى معرفة المستهلكين بالمواد الغذائية الرئيسية بالطريقة الآتية أو مثلها . كانوا يأخذون من المستهلك القادر على التمييز بين أنواع التمر مثلا مقدارا مما يعرضه عليهم من الرديء يزيد بكثير على ما يعطونه له من الجيد وهو راض بذلك لأنه زاهد فيما عنده وراغب فيما لديهم ، ثم يبيعون هذا التمر الرديء بأسعار عالية للذين تتساوى كل الأنواع في نظرهم . وقد يحدث عكس هذه العملية إذا كانوا يأخذون من البسطاء الأنواع المختلفة أو الأصناف المتباينة بسعر واحد على أساس أنها شيء واحد ثم ينوعونها أو يصنفونها ويبيعونها للقادرين على التمييز والمفاضلة بأسعار متفاوتة قد تصل إلى ضعف ما اشترؤا به . ولقد مارس بعض التجار السودانيين الذين لا يخشون الله العملية الثانية هكذا . اعتاد التجار الذين هم من شمال السودان وأكثر وعيا من غيرهم أن يسافروا معهم كميات من الملح إلى المناطق المتخلفة التي يزرع فيها خمسة أنواع من الذرة التي هي الغذاء الرئيسى لأهل السودان ويشترؤا هذه الأنواع المختلفة بسعر واحد من المزارعين البسطاء بدعوى أنهم لا يعرفون أى فرق بين نوع ونوع ولكنهم كانوا يضمنون كل نوع على حدة ، وكانوا يعطونهم الملح ثمنا لذلك . ثم يرحلون الذرة إلى مدن السودان الرئيسية ويبيعون كل نوع بسعر خاص وقد يبلغ سعر أجود الأنواع ضعف سعر أدناها .

١٥ - حقيقة ربا الفضل :

كان يهود المدينة يزيغون الذهب والفضة ويتلاعبون بالأوزان ، وكانوا ينتجون أجود أنواع التمر ليبيعوه للمستهلكين من ذوى السعة بأكبر مقدار من أخس أنواع التمر الذى لا يرغبون في الاحتفاظ به لا لشيء إلا لى يبيعوه للمساكين والمضطرين عندما يعز الطعام وتخفى من السوق الأنواع الجيدة بسبب استهلاكها أو ادخارها في البيوت المتيسرة الحال للقوت ، فيطلبون منهم

اثمانا عالية ويملون عليهم شروطا قاسية اذا أعطوهم نسيئة . وكثيرا ما أهذرت تلك الشروط كرامة المضطرين وحريتهم اذ كانوا يرفضون أن يعطوهم أى دين ما لم يرهتوا عندهم سلاحهم بل نساءهم وأطفالهم كما ذكر ابن هشام فى قصة مقتل كعب بن الأشرف اليهودى من أنه طلب من أبى نائلة وكان أخساه من الرضاعة أن يأتيه هو وأصحابه بنسائهم أو أولادهم كرهائن لكى يبيعهم طعاما نسيئة .

ويشهد على صحة ما قلناه عن اليهود ما جاء على لسان نبيهم عاموس الشائر على ظلمهم للعباد بل لبنى جلدتهم ، فهو يقول لهم منذرا : اسمعوا هذا أيها المنهممون الساكنين لكى . تبيدوا بالئس الأرض . قائلين متى يمضى رأس الشهر لتبيع تمحا والسبت لنعرض حنطة . لنصفر الأيفة وتكبر الشاقل ونعوج موازين الفئس . لنشتري الضعفاء بفضة والبائس بنعلين ونبيع نفاية القمح . وقد أقسم الرب بفخر يعقوب أنى لن أنسى إلى الأبد جميع أعمالهم .

تحكى لنا هذه العبارة أساليب المكر والخيانة التى ابتكرها تجار بنى اسرائيل لأكل أموال الساكنين بالباطل . وتحدثنا أنهم كانوا فى غاية الجشع حتى تضايقوا من رأس الشهر ومن السبت لعدم السماح لهم بالعمل فى هذه الأيام . فكانوا ينتظرون بفارغ الصبر مجئ الأيام الأخرى ليزاولوا أعمالهم الذهبية من تصغير للكيال المسى بالاية وتكبير للصنجة المسماة بالشاقل وتعويج للموازين حتى يأخذوا أكثر مما هو لهم ويعطوا أقل مما يجب عليهم . كانوا يستعملون الأيفة لكيل القمح والحنطة عند البيع فلذلك صفروها لكى يظلموا الشارى بانتقاص حقه ، وكانوا يستعملون الشاقل لوزن المال المدفوع — ذهباً كان أو فضة — بواسطة الشارى فلذلك زادوا فى وزنه لكى يظلموا الشارى مرة ثانية بأن يأخذوا من ماله أكثر مما هو لهم . ولم يكتفوا بذلك بل ظلموه مرة ثالثة باستخدام الموازين المعوجة عن قصد .

يقول عاموس : إنهم استرقوا أخوانهم الساكنين الذى عجزوا عن دفع ديونهم التى قد تكون ثمن نعلين فقط وباعوهم كمبيد بأبخس الأثمان ، وباعوا حثالة القمح ووزلته للمضطرين بأبهظ الأثمان . أخذوا كل ما فى أيدي الناس ظلما حتى أفقروهم وسلبوهم حريتهم .

وعلى ضوء هذه الحقائق نستطيع أن نرى بوضوح أن بيع الرديء بالجيد من الصنف الواحد — خاصة النمر — متفاضلا قد مارسه يهود المدينة الذين احتكروا إنتاج أجود أنواع النمر بقصد الحصول على أكبر مقادير من حثالته بأقل الطرق تكلفة مستغلين حاجة المستهلكين للأنواع الجيدة وزهدهم فى الأنواع الرديئة التى بأيديهم عند وفرة الطعام . وغرضهم من كل هذا هو كما قال عاموس أن يبيعوا هذه الحثالة للمضطرين بأبهظ الأثمان خاصة عندما يعم الطعام ولا يجدون شيئا سواه للبقاء على حياتهم .

ولا ريب في أن الكسب الذي يحصلون عليه بهذا الأسلوب سحت محض
 بن هو صنو الربا لفداحة الغبن الذي فيه . ومن هنا يتضح للقارئ ضحة
 ما ذهبنا إليه من أن ربا الفضل ربا حقيقى وليس مجرد وسيلة لربا النسئفة
 وأنه يعتمد تارة على استغلال جهل الناس كما ذكرنا في نهاية البند السادس ،
 وتارة على استغلال حاجتهم كما حاولنا أن نثبت هنا . أما ربا النسئفة فإنه
 يعتمد أساسا على استغلال عجز الدين من سداده الدين عند حلوله . وهذا
 مصداق قول الرسول صلى الله عليه وسلم لبلال « عين الربا » .

١٦ - خلاصة البحث :

أولا - كانت تستعمل السلع الرئيسية الأربع وهى البر والشعير والتمر
 والملح كنفود سلمية لمساعدة للذهب والفضة في مجتمع المدينة . ويستفاد من
 عبارة عمرو بن حريش أن الإبل والبقر والغنم كانت تستعمل أيضا كوسيط
 للمبادلة في بعض أجزاء الجزيرة العربية . فلذلك نرى أن علة تحريم ربا
 الفضل في الأصناف الستة المنصوص عليها واحدة وهى النقديّة .

ثانيا - لا يمكن أن نضع قائمة بالأمشياء التى يجرى فيها ربا الفضل
 على ضوء العلة التى ذكرناها وذلك لأن الأشياء التى يقع عليها اختيار الناس
 لى تقوم بدور النقود تختلف من بيئة الى أخرى بحيث يتعذر علينا معرفتها
 سلفا .

ثالثا - أن منع الشارع الحكيم لبيع الصنف الربوى بعضه ببعض
 متفاضلا ناجزا أو نسئفة ينطوى على مقاصد عديدة لا يدركها جميعا الا من نظر
 الى الأمر من عدة زوايا كما حاولنا أن نفعل . مثال ذلك ، لو نظر الى
 الأصناف الربوية كنفود سلمية لأبصر غرض النبى صلى الله عليه وسلم من
 المنع وهو إضفاء خاصية التجانس على كل منها حتى تتمكن من القيام بدورها
 كوسيط للمبادلة ومقياس للقيمة على ما يرام ، ولو نظر اليها كسلع سوقية
 وتأمل الظروف التى كانت تباع فيها وتشترى لأدرك أن المنع جاء لحماية مصالح
 الأكثرية التى لا تستطيع أن تميز بين الأنواع المختلفة كما وضعنا ذلك .

رابعا - لم يكن تحريم ربا الفضل لمجرد كونه ذريعة لربا النسئفة .
 ولكنه حرم لكونه ربا حقيقيا كما قال صلى الله عليه وسلم « عين الربا » أى أنه
 حقيقة الربا المحرم .



للدكتور محمد زايد

اسمحوا لى أن اعترف بصعوبة ابقاء الموضوع حقه من الاحاطة لأسباب
ثلاثة :

الأول : هو اتساع العالم الاسلامى وتعدد أجناس عناصره واختلاف
أوضاعهم السياسية والاجتماعية وبالتالي لتعدد المشكلات التى يواجهونها .

الثانى : هو خيبة أمل الباحث فيما يجد فى متناوله من أبحاث عن بقاع
كثيرة من العالم الاسلامى يندر مثلا أن تجد بحثا عن مسلمى مدغشقر أو جزر
المالديف أو جنوبى افريقيا ، ولا بد من سد هذه الثغرة المهمة فى المكتبة
الاسلامية وتوجيه بعض الاهتمام لأطراف العالم الاسلامى ، لا حصره فى
وسطه .

الثالث : يتعلق بما يمكن اعتباره من المنجزات .

هذا أمر ذاتى الى حد كبير ، لأنه يستند بصورة رئيسية الى ما يعتبره
المرء مقوما من مقوماته ، والى تصويره لحاضره ، ولما ينبغى أن يكون عليه
مستقبله .

وما انطلقى فى هذه المحاضرة الا من مفهومى لهويتى وهو اننى مسلم
وعربى .

وأود أن اعترف بأنني لم اختر هذا الموضوع يقينا مني بأنني من أقدر من يوفيه حقه من البحث ، ولا يقينا بأنني موفيه حقه ، وإنما اخترته بسبب ما لاحظته ويلاحظه غيري من تركيز كثرة من الكتاب في الشرق والغرب على تخلف المسلمين وجمود الاسلام ، بعضهم لا يزال يضرب على نغمة قصص المسلمين عن اللحاق بغيرهم من الأمم (المتقدمة) ، ويذهب البعض الآخر الى ان الاسلام لا يستطيع ان يسير الحياة ، بل ، وهناك من يذهب الى ان صلتنا بقرائنا انقطعت نهائيا ، كتب أحد هؤلاء يقول :

« من يدعو الى رفض الأفكار المستوردة اليوم ، بعد مرور أكثر من قرن على النهضة وعجز جميع المصلحين عن السياحة في غير محيط الأفكار والنظريات الغربية ، يفوه بكلام فارغ أذن ، كلام لا معنى له إطلاقا ، لأن رباطنا بالتراث الاسلامي في واقع الامر قد انقطع نهائيا في جميع الميادين وأن الاستمرار الثقافي يخدمنا .. » .

ولا يخفى ما في دعاوى هؤلاء وغيرهم من افتتات على الواقع ، ومن تضليل لكثرة من الناشئة الذين لم يأخذوا من الاسلام أكثر بكثير من شرف الانتماء اليه . ولكن يجدر بنا أن ندرك كيف تكون هذا الانطباع .. ؟

أول سبب أساسي هو وقوع العالم الاسلامي في برائن الاستعمار ، كان هذا صدمة كبيرة للمسلمين أينما كانوا ، ودفعهم هول الصدمة الى اطلاق الصرخة بعد الصرخة استنهاضا للنفوس واستثارة للهمم لمقاومة العدوان ، ولكثهم في الوقت ذاته اظهروا من الأسف لحال المسلمين والأسى لما وصلوا اليه ما أسهم في تكوين الانطباع السائد عن تخلف أو انحطاط المسلمين ، وأحيانا عن جمود الاسلام ذاته ، قال الشاعر الفيلسوف اقبال :

« أين حماتك يا هذه الديار ، وأين من جلجلت تكبيراتهم في المساجد ؟ .. أسفا عليك يا ديار الاسلام التي منك انبعثت طلائع الحرية والعدالة والسلام » .

وظهر من المقالات والكتب التي حملت عناوين تنسب الانتحطاط أو التأخر للمسلمين ما ترك الانطباع بأن الاسلام فى انحطاط وتأخر وتخلف بالفعل ، ولعل أخطر ما فى هذا الانطباع هو ايها السامع بانتحطاط الاسلام بوصفه ديناً أو بجهوده ، أو بقصوره وعجزه عن مسيرة الحياة .

وقد أسهم فى تكوين هذا الانطباع بشكل رئيسى تحامل كثرة من المستشرقين والمبشرين والكتاب الذين وضعوا انفسهم فى خدمة الاستعمار ، كتب اللورد (هيلى) يقول عن الاستعمار الفرنسى :

« ومنذ البدء وجدت الادارة الفرنسية فى افريقيا نفسها تشن حرباً لتحرير الافريقيين الاصليين من سيطرة الاسلام المكافح » .

ويضيف اللورد هيلى الى هذا أن هذه النظرة السياسية الفرنسية انعكست على أبحاث الفرنسيين عن الاسلام .

لكن يجب الا يغرب عن البال أن أحوال المسلمين السياسية والاجتماعية والاقتصادية كانت أيضاً ذات تأثير كبير على تكوين هذه النظرة .

لقد سبق لى أن بينت فى محاضرة سابقة وقبل حوالى عام واحد من هذا المكان نفسه أن العصور التى تلت القرن الحادى عشر الميلادى من تاريخ الاسلام لم تكن عصور انحطاط كما هو شائع ، وعليه فنسبة الجهد والقصور الى الاسلام خاطئة من الاساس وتدل على جهل بواقع التطور التاريخى . وأود فى هذا الحديث أن أوضح أمرين أساسيين :

الأول : هو أن المنجزات الاسلامية فى هذا القرن انجازات ضخمة من أى زاوية نظرنا إليها ، وبأى مقياس قسناها ومن الناحيتين العملية والنظرية .
والثانى : أننا نشهد ثورة فكرية ذات اتجاهات واضحة فى مقدمتها رفض الفكر الاوروبى الذى طالما وقعنا تحت رقاؤه ، واصلاح الظل الذى أحدثه فى مؤسساتنا ، ثم الاتجاه الى منابع ثقافتنا وخاصة الدينية منها ومحاولة الخروج بأيدىولوجية عربية اسلامية متكاملة ، وإذا كانت هناك ثورة فكرية سلمية خبرى فى تاريخ الاسلام الحديث فهى هذه ، أى التخلص من برائن الفكر اللبرالى الاوروبى .

أما بالنسبة للأمر الأول :

وهو المنجزات .. فانى أضع فى مقدمتها انتشار الاسلام حتى فى الفترة التى بلغ فيها التسلط الغربى على العالم الاسلامى أوجه ، فانتشاره دون قوة سياسية تدعمه ، وفى وجه قوى تتسارع معه ، وتهدف الى زعزعة مقوماته ، هو أعظم دليل على حيويته الدافقة وتوثبه الدائم ، وجاذبيته العقيدة الصافية . هذا من ناحية ..

ومن ناحية أخرى ، فنحن مدينون لانتشاره فى اتساع رقعة العالم الاسلامى اتساعاً أدركنا نحن العرب مؤخراً مدى أهميته فى معركتنا مع الاستعمار ورأس حريته اسرائيل ، وأدركوا هم أيضاً أهمية مشاركتهم لنا فى صراعنا الحالى ضد الصهيونية .

فمنذ أواخر القرن الثامن عشر شهدت مناطق كثيرة مداً اسلامياً جارفاً أصاب المستعمرين والمبشرين بالذهول ، فقد شهدت مناطق السودان الشرقى والوسط والغربى من القارة الافريقية نهضة اسلامية عظيمة كان رائدها الشيخ عثمان دنغديو الذى كان له الفضل فى جعل الاسلام دين شعوب بأكلها فى

السودان الأوسط وأسس الإمبراطورية الفلانية وعاصمتها سوكونو ، بعد أن سلخ ثمانية عشر عاما من عمره (١٨٧٦ - ١٨٩٤) يدعو إلى الإسلام بين القبائل الإفريقية .

وقد تلت هذه الانطلاقة انطلاقات أخرى :

فى السودان الغربى بقيادة الحاج عمر ، وفى السودان الشرقى بفضل محمد عثمان الميرغنى ، وأشرق نور الإسلام على بقاع أخرى كثيرة مثل تفقاسيا حين نهض الضابط التركى قرع فى عام ١٧٨٢ م بتأسيس مركز فى انابا بالقرب من منفذ على البحر الاسود ليكون مركزا لنشر الإسلام بين الشراكسة . وكان هؤلاء قد بقوا حتى هذه الفترة على الوثنية فيما عدا قلة ضئيلة منهم كان أفرادها قد دخلوا فى الإسلام . تزوج هذا الضابط من شركسية وطلب من أتباعه أن يحذوا حذوه ، واستقدم علماء من القسطنطينية لتعليم الإسلام ، وكانت هذه الحركة منطلقا لانتشار الإسلام حتى القرن العشرين .

وفى الهند ، نجد قائمة الدعاة إلى الإسلام تضم إلى جانب الفقهاء رجالا ونساء من جميع الطبقات ، « ونجد فى ثبت يتضمن أسماء أسباء دعاة الهند فى صحيفة إحدى جمعيات لاهور الدينية الخيرية أسماء معلمى مدارس وكتاب للحكومة . . وتجار (وفيهم أحد العمال فى عربات النقل بالجمال) ومحرر إحدى الصحف ومجلد كتب وعامل فى مطبعة . فقد خصص هؤلاء الناس ساعات فراغهم بعد انجاز عملهم اليومي للدعوة إلى دينهم فى الطرقات وأسواق المدن الهندية » .

ويشيد أرنولد بالدور الكبير الذى قامت به المرأة المسلمة فى هذا السبيل ، وكم يتنى المرء أن يجد فى كتبنا المدرسية - وأغلبتنا من المسلمين - اسم واحد من أولئك المصلحين الأفريقيين أو إشارة إلى الجنود المجهولين الذين كرسوا ما لديهم من جهد فى سبيل نشر دينهم .

ولا يقل من هذا الانجاز تحرر الغالبية الكبرى من البلدان الإسلامية من الاستعمار ، وغنى عن القول إن أكبر الفضل فى ذلك يعود إلى الإسلام الذى وجد فيه الغربيون موقلا يحول دون تمثيل المسلم وحمله على التخلّى عن مقومات تراثه ، والجزائر بلد المليون شهيد أبرز مثال على ذلك .

كما كان للإسلام والعروبة معا الفضل فى صمود المسلمين عربا وغير عرب لعملية (غسل الدماغ) التى قام بها الغرب لزعة مقومات الإسلام ، وذلك بازدرائه للعقل الشرقى بوجه عام ، وطمعه فى قدرته ، وبفرض مؤسساته وقوانينه وعاداته ، وبالتبشير فى دياره ، وبفرضه ثنائية التعليم وثنائية القوانين والمحكم . وأخيرا وليس آخرا بقيامه بمحاولة بعد محاولة لأضعاف صلتنا بتراثنا . فإطلق أبوانه تدعو إلى تبسيط قواعد اللغة العربية أو إصلاحها أو بالاثنتين معا ، وحينما بالتحول إلى اللهجات المحلية لغة للتدوين والتأليف ، وحينما آخر بالتحول عن الحروف العربية إلى اللاتينية ، وفى الوقت ذاته أخذ يشجع الدعوات الإقليمية كالفرعونية والفينيقية وغيرها .

وبالرغم من تحول تركيا إلى الحروف اللاتينية ، واضطرار تركستان إلى التحول إليها ، فإن الشعوب العربية كلها وكثرة من الدول والإقلييات الإسلامية وخاصة فى الهند والباكستان وشرقى أفريقيا وأندونيسيا تمسكوا بالحروف العربية ، وينص الدستور الباكستانى الحالى على ضرورة تشجيع تعليم اللغة العربية .

وفى هذه الأثناء اضطلع العرب بتجديد لغتهم وذلك بتبسيط أسلوبها وإغناء

مستلحاتها وترجمة مختلف العلوم إليها ، وهذه هي المحاولة الثانية لتجديد اللغة بعد العصر العباسي .

ومن أبرز ما حققه المسلمون في القرن العشرين هو اصلاح الخلل الذي أحدثه الأوروبيون بتشجيع ثنائية التعليم أو بفصل التعليم الحديث عن التعليم الديني ، وتشجيعهم ثنائية القوانين والمحاكم بأحداث قوانين مدنية وشرعية ، ومحاكم مدنية وشرعية . وكان القصد من هذا كله كما لا يخفى حصر الاسلام في أضيق نطاق ممكن في المعاهد وفي حياة الشعب .

وكان أخطر ما ترتب على فصل الدراسات الدينية عن الدراسات العلمية غير الدينية أننا قطعنا الصلة بين شبابنا وبين أهم مقومات تراثهم وهو الدين . وتركناهم في فراغ روحي شديد الى درجة أن بعضهم تخيل أن كل صلة لناسا بالتراث قد انقطعت وأننا لا بد متغربون أو متأمكون أو متفرنسون أو متروسون .

ولا يقل عن هذا خطرا ما جنيناه على المتخصص بالدراسات الدينية عندما عزلناه عن إبعاد مهمة الثقافة ، فضايق أفعه ، وانعكس واقع هذا على نظرنا له ، وأحللناه في معاشه منزلة دون منزلة طالب العلوم الأخرى ، وباختصار أصبناه في عقله وفي ماله ، ونادرا ما ثار وجدان أصحاب السلطة والمثقفين ونادوا بدفع الظلم عنه ، ومما بيعت على الانبياء أننا بعد هذا كله نضع مسؤولية التخلف عليهم ، هذا بينما لا نلوم المهندس ولا الطبيب وغيرها من المتخصصين بالدراسات الأخرى .

ومن آثار هذا الفصل بين الدراسات الدينية وغيرها أننا أخذنا نجرى على سنة الغرب فنقول : عالم دين وعالم دنيا ، بدلا من أن نقول : هذا مسلم متخصص بالدراسات الدينية وهذا مسلم متخصص بغيرها من الدراسات . ووراء هذين الاصطلاحين فكرة الفصل بين الدين والدنيا وهي فكرة تتنافى بشكل مبدئي مع الاسلام .

لقد بدأت فكرة الفصل بين العلوم الدينية والدينية منذ أوائل احتكاكنا المباشر بالغرب وشجعها المستعمرون لأنهم أدركوا بأن أكبر عقبة في سبيل السيطرة على المسلمين واستغلال خيراتهم هو الدين ، وعليه فلا بد من زعزعة أسسه بتحويل الشباب عنه . ولحسن الحظ أن المسلمين تنبهوا الى هذا فأخذوا منذ حوالي مائة وخمسين سنة يصلحون الخلل بالعودة الى ما انقطع من صلتنا بالتراث في المعاهد الحديثة ، ولجأوا في ذلك الى حلول رئيسية أربعة :

الأول : انشاء دوائر أو كليات للدراسات العربية والاسلامية في الجامعات الوطنية .

والثاني : ادراج موضوعات عن الاسلام في الجامعات كما حدث في جامعة القاهرة والاسكندرية ودمشق والرباط وأنطونيسيا وذلك في فروع اللغات أو الادب أو التاريخ أو القانون لكن بدون انشاء دوائر خاصة بالدراسات الاسلامية .

والثالث : انشاء اقسام للدراسات الدينية على نهج كليات الدين في الغرب كما حدث في عليكرة وطهران وأتقره (١٩٤٩) واستنبول (١٩٥٩) .

والرابع : هو ادخال العلوم الحديثة في المعاهد الدينية وأبرز مثل على ذلك هو ما يشهده الأزهر من اضافات الى مناهجه الدراسية وكلياته منذ عام ١٩٦١ م .

وأرى أن العودة بالدراسات الدينية الى المدارس الثانوية والجامعات والمعاهد على اختلاف أنواعها هي بمثابة إعادة الروح الى الأمة بأسرها وبداية انطلاق عظمية لعملية التجديد والبناء ولكن المسألة ليست مجرد إضافة دائرة أو كلية واتسا هي دمج الثقافة الدينية في العملية التعليمية برمتها .

وأود من يقولون بقصور الشريعة عن مسايرة الحاضر أو يلومون الفقهاء أن يسمعنوا النظر قليلا فيما تم في حقل التشريع من انجازات كان في مقدمتها القضاء على ازدواجية أو الثنائية في القوانين والقضاء التي تصد بها أيضا حصر المتخصص بالعلوم الدينية . وحصر تطبيق الشريعة في أضيق نطاقات ممكنة ، وقد جاءت هذه الازدواجية بين قوانين مدنية وشرعية ، ومحاكم مدنية ومحاكم شرعية نتيجة لخضوع البلاد الاسلامية للاجانب ، ولسهولة اقتباس القوانين الاجنبية ، وحرص علماء المسلمين على الا يجرى العبث بأحكام الشريعة الفراء . وأوليت دراسات الحقوق في البلاد العربية بيزيد من الاهتمام ، وفتحت لخريجها أبواب الوظائف في السلكين السياسي والدبلوماسي ، بينما حصر خريجو كليات الشريعة الاسلامية في مجال ضيق ، وأصيبوا في أرزاقهم تبعا لذلك .

وعلى الرغم من تأثير مركز الفقهاء وخريجي كليات الشريعة على هذا النحو ، فقد بذلوا هم وعدد لا يستهان به من خريجي الحقوق من أصحاب الفيرة على الاسلام جهودا كبيرة موفقة كان لها فضل كبير في اثبات زيف ما ذهب اليه المغرضون والمتحاملون على الاسلام الذين زعموا بأن الاسلام يتصف بالجمود ولا يتسع للتجديد وأنه في حالة تجددته فإنه يفقد الصبغة الاسلامية ، لقد أثبت الفقهاء من خلال ما استنبطوه من احكام ، وبلفظة سهلة وعصرية ، على أن التجديد الدائم هو في صلب التعاليم الاسلامية . كما اثبتوا أنه باستنارته بمصالح المسلمين ، وتوجيه التفسير عليهم ، ورفع الحرج عنهم ، وحضه على التجديد ، وفرضه لضرورة الاجتهاد على الأمل عند بعض المذاهب كما هو الشأن عند الحنابلة . . بهذا كله اثبتوا أن الاسلام قادر على التغلب على الفساد واقامة المصالح وان شئت قل : قادر على مواجهة التناقضات في المجتمع ما جد منها وما سيتولد عنها .

أكدوا هذا بوجه عام واثبتوا في الوقت ذاته منهجية من شأنها أن تساعد على الاستفادة من الثروة الضخمة التي خلفها الفقهاء في كل ناحية من نواحي التشريع .

لقد لجأوا أولا الى اصدار القوانين مع التقيد بمذهب ولكن بدون التقيد بالرأي الراجح فيه وهو ما فعله الفقهاء أيام العثمانيين في المجلة ، ثم ما لبثوا أن لجأوا الى تخير الاحكام دون التقيد بمذهب معين وهو ما فعلوه حين أصدروا قانون الأسرة . وسار في أثرهم الفقهاء في مصر أيام الفخيدوي اسماعيل ، وفي القوانين التي تنظم شئون الأسرة والتي صدرت عام ١٩٢٠ ، ١٩٢٣ ، ١٩٢٩ ، استمد الفقهاء الاحكام من المذاهب الاربعية .

ولجأ الفقهاء بعد ذلك الى تطبيق الاحكام ، بل والى تطبيق الحكم الواحد كذلك ، ولما لبس البعض الى التفسير على المسلمين بالاستناد الى المبادئ الخلقية الاساسية ، والعمل في ضوئها على رفع الظلم عن بعض الفئات الاجتماعية . ولم تقتصر اجراءات التغلب على الازدواجية على ميدان الاحكام فقط ، بل تعدت ذلك الى القضاء كما حدث في مصر حين جرى توحيد المحاكم .

ولا بد لى من أن أدرج فى هذه المنجزات حقيقة مهمة وهى أن الحكام فى البلاد العربية سواء كانوا ثوريين أو غير ثوريين ، يلتقون عند نقطة أساسية ومصرية وهى أن هويتهم عربية اسلامية وأن البناء على غيرها لا بد وأن يكون كبن يبنى فى الهواء .

واعتقد أنهم بصفة عامة أخذوا يدركون أن الاسلام برغم كل ما رمى به من سموت سلبية هو بناء شامخ ومتكامل لا ينال منه الزمن ، وأنه يتسع لكل اصلاح ما دام أساسه روحيا .

قال نابليون مرة بأن أعظم قوتين فى العالم هما السيف والروح ، والنصر هو فى النهاية دائما للروح ، وليس من شك فى أن سلطان الاسلام الروحي على المسلمين قد أثبت أنه لا يقهر ، وأن المسلم قد لبس القبة ولكن رأسه يظل مسلما .

وصلنا النقطة التى يجب أن نتساءل فيها عن الاسباب التى تكن وراء هذا التيار القوى للتأكيد على الاسلام واتخاذها أساسا للحركات القومية ثورية وغير ثورية والغوص فى منابعه الروحية وثورته الفكرية .

ليس من شك فى أن حيوية الاسلام ، وتكامله روحا وفكرا وموازنه بين الحاجات الروحية والمادية سبب رئيسي . ولكن هناك أسباب أخرى وإن كانت غير واضحة فى أذهان الكثيرين .

فى مقدمة هذه الاسباب أن افتتان المسلم بالغرب وبحضارته قد تزعزع من أساسه . وإن المسلم قد أخذ يتغلب على الشـعور بالنقص إزاء الغربى وحضارته .

ولهذا أسباب فى مقدمتها سببان رئيسيان :

وهما : خيبة أمل المسلم فى الفكر اللبرالى ، والفكر المادى الثورى ، جدليا كان أو غير جدلى ، فالحضارة الأوروبية القائمة على اللبرالية التى طالما وقع المسلم تحت تأثير رقاها هى نفسها تعانى من أزمات شديدة زعزعت إيمان الأوروبيين أنفسهم بها وبمستقبلها .

ولم يفيت المسلم أن يلاحظ أن هذه الأزمات هى فى الأساس روحية ، وأنها كما يقول مؤرخ أميركى للحضارة الغربية أنها تكن فى : ازدواجية المقاييس الخلقية . فبينما ينشد الغربى بوصفه فردا مقياسا عاليا لسلوكه ، تتبع دولته فى علاقاتها مع غيرها مقاييس لا أخلاقية وتتبع أساليب لا تبررها أية غاية . ولقد أثار تنكر الغرب للمعدالة لا ثائرة شعوب العالم الثالث فحسب ، بل وثائرة الشبان الأوروبيين أيضا . وما مرد تـمرد هؤلاء الشبان على سلوك بلادهم فى حرب الفيتنام وغيرها الا مظهر من مظاهر الثورة على الظلم والقرصنة والعدوان على الحرية .

ويتبع المسلم أخبار المجتمعات الأوروبية فيستلفت نظره أن التيار المادى الجارف وفقدان الإيمان عند الأجيال الناشئة وإيمانهم بنسبية الاخلاق قد دفع الكثيرين الى التوصل بالمخدرات للانعتاق من سطوة المادة وللتعبير عن نـقمتهم على المجتمع واحتقارهم له .

ويلاحظ المسلم كذلك أن هذه النقمة تجد متنفسا لها فى جرائم مرديـة وجماعية وحشية وفى الهروب من العمل ، والتمرد على النظم ، ونـبذ أساليب

الحياة المألوفة ، والانعزال عن المجتمع في الكهوف أو الشـمـاب أو تحت الارض .

وأهم من هذا كله أنه لم يفت المسلم أن يدرك أن الفكر اللبرالى أو المتحرر الذى ساد أوروبا في القرن الماضى وشطر من القرن الحاضر كان نتاج ظروف خاصة بأوروبا لا ظروف انسانية عامة .

وقد يغيب عن بال كثرة من مثقفينا وكتابنا ومؤرخينا أن العلماء الغربيين الذين افقتن بأبحاثهم وعلمهم كانوا ولا يزالون يسخرون أنفسهم لخدمة أغراض تتنافى مع مقومات المسلمين وتطلعاتهم وأوضاعهم . لقد كان أولئك المثقفون الغربيون مثل كلاب الحراسة كما يقول الكاتب الوجودى الفرنسى جان بول سارتر ، يعملون في خدمة الايديولوجيا البورجوازية ، ناصب هؤلاء المثقفون اللبراليون رجال الدين العداء ونادوا بتحرير ميادين الاقتصاد من الصيغة الدينية وذلك لاطلاق يد البورجوازية في خيرات الشموب . ونادوا بحرية الاقتصاد لهذا الغرض نفسه وتوصلوا الى نظريات عنصرية تثبت تفوقهم ، بل بلغ الأمر بهم حدا قام معه الاطباء النفسيون الفرنسيون بأبحاث ترمى الى تفسير تأخر الافريقيين ببنية أدمغتهم وتركيبهم الفيزيولوجى .

وكما انعتق المسلم من رقى الفكر اللبرالى أخذ كذلك ينمق من الفكر الثورى المستورد .

أن الاختلاف بين المسلم وبين هذا الفكر أساسى وكامن في بعد الاسلام الروحى ، ولكن فيما يخص المجتمع فليس في الفكر الثورى شيء لا يتسع له الاسلام .

والاختلاف هو اختلاف ظاهرى فحسب اللهم الا فيما يتعارض مع أى حكم اسلامى قاطع .
وبعد ، ماذا نستخلص من هذا .. ؟

أولا : أن سيطرة الاسلام الروحية على المسلمين أقوى من أن تزعمها النكسات والغزو الفكرى وأن حيويته الدافقة كانت حتى في أوج التسلط الاوروبى كغيلة بانطلاقه وانتشاره .

ثانيا : أن في العالم الاسلامى كله نزعة شديدة الى اصلاح الخلل الذى تم في المؤسسات أيام الاستعمار والعودة بها الى سابق عهدها مع تجديدها . وأوضح ما يكون هذا في التعليم والتشريع .

ثالثا : أن عهد الاقتتان بالغرب وحضارته قد قارب على الانتهاء ، وأنه بدأ يرفض الفكر اللبرالى الاوروبى الذى وضع نفسه في خدمة البورجوازية والاستعمار والفكر الثورى المادى .

وأن في هذا شبهة بما تم في العصر العباسى من رفض لما لا يتفق مع الاسلام من الحضارات الاخرى .

الدين الإسلامي

للككتور أحمد الحجي الكردي

قد يكون هذا الموضوع غريباً لأول وهلة إذ يقول بعض القارئ ما علاقة الإسلام بالزى ، وهل له فيه حكم ؟ اليس الإسلام دين الحرية والانطلاق من القيود ؟

لكن الجواب على ذلك واضح ولا يحتاج الى غوص وتعمق ، فالإسلام حقا دين الحرية الى غايتها ونهايتها ، الحرية غير المحدودة إلا بحدودها هي نفسها . فالإسلام كفل الحرية للناس جميعا لا فرق في ذلك بين رجل وامرأة ، ولا بين عربي وغير عربي ، أو بين غنى وفقير ، أو كبير وصغير . . والحرية ملك الجميع بقدر متساو بينهم وهي حق لهم جميعا ، لكن هذه الحريات لا بد وأن يتناس بعضها مع بعض في خطوط تناس تشكل الفاصل بينها المحدد لحدودها ، فحرية الانسان لا بد وأن تنتهي عند نقطة انتهاء حرية غيره في موقع التناس والا كان الاعتداء على حرية الآخرين وهذا ما لا يرضى به الإسلام لما فيه من الظلم الذي جاء هو لتغييره ورفعته .

وبذلك تكون الحرية قد حدثت نفسها بنفسها حفاظا على كيانها وجوهرها ، دون أن يكون للإسلام في هذا شيء غير بيان هذه الحدود التي تضمن للجميع قدرا متساويا من الحرية .

وانطلاقا من هذا المبدأ الاسلامي العام في تكريم الحرية وصيانتها والحيلولة دون اعتداء بعض الناس على بعض فان الاسلام يقرر أن للمسلم أن يتخذ الزي الذي يراه ويناسبه دونما قيد أو شرط إلا أن يكون في ذلك اعتداء على حرية الآخرين ، فإذا كان في هذا الزي اعتداء على حرية أحد فانه يعتبر ممنوعا صونا لحرية الآخرين التي يحرص الاسلام عليها ، ولا غرابة فان في بعض أنواع الزي ملبسا كان أو غيره تعديا على الكثير من حريات الآخرين في أخلاقتهم وسلوكهم وتربية أولادهم وغير ذلك .

فلكل امرئ الحق بل هو مسؤول عن حفظ اخلاقه وأخلاق من يعوله ويلى عليه من الجنوح والانحراف بل هو مسؤول عن أخلاق المجتمع الاسلامي كله ، وفي بعض أنواع الزي استهتار بهذه الاخلاق ، ودعوة الى ما يجانها مما يحول بين المسلم وبين ما يتطلع اليه من مستوى أخلاقي رفيع دعا الاسلام اليه .

وجمعا بين المبدأين ، مبدأ صون الحريات وحمايتها ، ومبدأ عدم اعتداء بعضها على بعض فقد أبان الاسلام عن بعض القيود في الملبس التي يعتبر في تجاوزها اعتداء على حريات الآخرين .

واهم هذه القيود :

١ - أن لا يكون اللباس كاشفا للمعورة أو لجزء منها ، ومعورة الرجل هي من السرة الى الركبة ، أما عورة المرأة الحرة فهي جميع بدنها إلا الوجه والكتفين والقدمين في قول جمهور الفقهاء .

وعلى ذلك فان أي لباس ينكشف معه نخد الرجل أو بطنه ، أو ينكشف معه شمسعر المرأة أو ساعدها أو ساقها ، أو غير ذلك يعتبر لباسا ممنوعا محرما لما في ذلك من دعوة ضمنية الى الرذيلة

والتحلل الخلقي الذي لا يستطيع الآخرون معه الحفاظ على أخلاقهم وإخلاق أسرهم وأبناء مجتمعهم ، وفي ذلك اعتداء كبير على أسس ما تكفله الحرية لكل إنسان من المبادئ وهو مبدأ حرية العيش في مستوى أخلاقي رفيع .

ولا يجوز أن يقال بحال : ليعلق الإنسان على نفسه الباب ولا يتعرض للآخرين ، ولا يأبه بهم ولن يناله بعد ذلك منهم أي أذى . ذلك أن الحياة العامة ملك مشترك بين الجميع ، ولا يستطيع أي إنسان أن يمنع الآخرين من ولوجها ، وعلى جميع المسلمين أن يكونوا من أي عمل يلحق أذى بالآخرين فيها ماديا كان ذلك الأذى أو معنويا . ألا ترون أنه لا يقال لولي من قتلته سيارة في شارع عام « لو كان هذا القتل في بيته لما قتلته السيارة وبالتالي لا مسؤولية على القاتل » وإذا ما قيل ذلك اعتبر شذوذا مردودا على صاحبه ، لأن الشارع العام ملك لكل الناس ، وعلى كل الناس أن يتعدوا عن أيذاء بعضهم فيه . فذلك اللباس لا يجوز أن تتعدى فيه الحدود التي يلحق منها ضرر بالآخرين ، مثله مثل السيارة تماما لا غارق بينهما إلا من حيث أن ضرر السيارة مادي وهذا ضرره معنوي ، وهو غارق غير مؤثر هنا .

بل أن النظرة المستهترّة يلتقي بها الرجل إلى امرأة في الشارع ، أو تلقى بها المرأة إلى الرجل فيه تعتبر أمرا ممنوعا شرعا بنص كتاب الله تعالى حيث يقول : « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم » ويقول : « قل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن » لما في ذلك من اعتداء على حرية الآخرين في السير في الشارع العام في أمان وسلام بعيدا عن الفساد ومسبباته .

٢ - أن لا يكون اللباس شفافا يشفعن العورة تحته ، لأن الشفافية هذه مثل الكشف تماما أن لم تكن أشد منه أغراء ودعوة إلى الفساد ، ولأن الثوب الشفاف لا يعد ساترا ، والله سبحانه ورسوله قد أمروا بالاستتار ، فقد روى أبو هريرة عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال (صنفان من أهل النار لم أرهما ، قوم معهم سياط كأذناب البقر

يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات .
مائلات مهيلات ، رؤوسهن كاسنمة البخت المائلة ،
لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن زيحها ليجد من
مسيرة كذا وكذا) رواه مسلم .

٢ - أن لا يكون اللباس ضيقا يشكل حجم
المعورة تحته ، كالسروال الضيق الذي يشكل حجم
الفخذ والمعطف الضيق الأكمام الذي يشكل حجم
الساعدين بالنسبة للمرأة ، وكذلك الثوب الضيق
الذي يشكل حجم الصدر والخصر للمرأة .. وغير
ذلك . لأن في هذا كله نوع اغراء وإيذاء ونسلا من
حرية الآخرين في المحافظة على أخلاقهم وعفائهم ،
ولأن فيه نوع كشف للمعورة بالجملة .

٤ - أن لا يكون في اللباس نوع خيلاء وكبر
واسراف ، لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - نهى
عن ذلك ، والقرآن الكريم جاء بتحريمه أيضا ، فقال
تعالى : « ولا تمش في الأرض مراحا أنك لن تحرق
الأرض ولن تبلغ الجبال طولا » ، وقال جل شأنه :
« وكلوا واشربوا ولا تسرفوا » . وقال - صلى الله
عليه وسلم - (من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه
يوم القيامة) رواه البخاري . ولم لأن في التكبر
اعتداء على مبدأ المساواة التي قررها الله تعالى
ترسيخا لبدا الحرية ، ثم أن الاسراف داء إذا انتشر
وبأه بين أفراد الأمة الحق بها الخراب والدمار وهو
ما لا يرضى به الاسلام .

٥ - أن لا يكون اللباس زيا خاصا لغير
المسلمين ، فإذا كان كذلك كان في ارتدائه تشبه
بهم قد يجبر الى تقمص شخصيتهم والتخلي عن
الشخصية الاسلامية بكل مقوماتها شيئا فشيئا ، وفي
هذا من الخطر على الأمة ما فيه ، وهل كان أول
ضعفنا إلا التخلي عن تقاليدنا واستيراد تقاليد غريبة
عنا في اللبس والسكن .. (من تشبه بقوم فهو
منهم) .

وهذه أمم الأرض كلها تحافظ على تاريخها وتقاليدها بما في ذلك أرقى الأمم ، ونظرة عجيلى الى هذه الأمم من اقاصى الصين الى اواخر أوروبا كامية لوضع النقاط على الحروف فى ذلك ، فما بال بعضنا يستسيخ التخلّى عن هذه التقاليد غير آبه بما يترتب على ذلك من أمدح الأضرار .

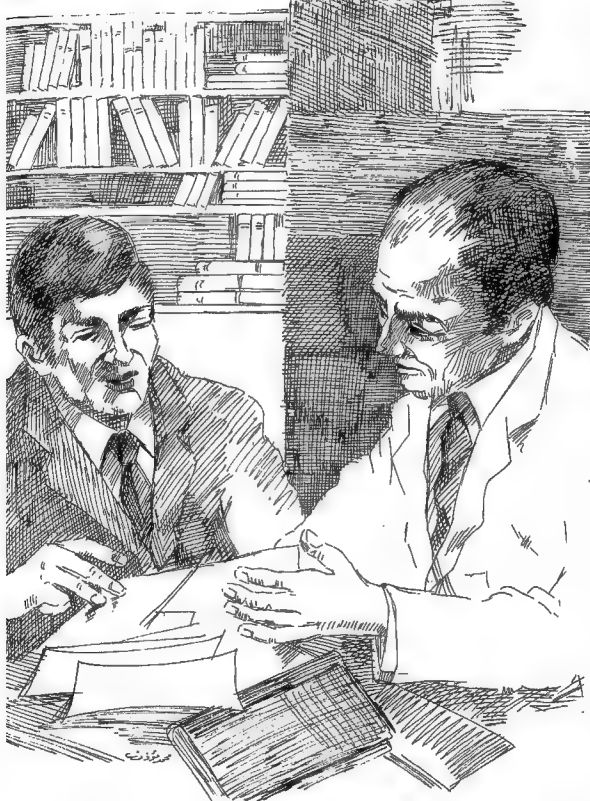
ولكن ليتنبه هنا الى أن ذلك لا يعنى بحال أن نصم آذاننا عن كل جديد ، فان الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها التقطها ، بل يعنى أن نفتتح آذاننا وعيوننا وكل حواسنا جيدا عندما نقع على أى جديد فنقيسه بعقولنا ونزنه بمبادئ اسلامنا ، ثم بعد ذلك لنقرر أخذه أو تركه ، فاذا أخذناه فلنحاول أن نصبغه بصبغتنا الخاصة قطعا لمعنى التبعية فيه ، فقد ثبت عن النبى - صلى الله عليه وسلم - أنه أمر أصحابه الأبرار مرة بصوم يوم عاشوراء ، فقلالوا له : يا رسول الله هذا يوافق صوم اليهود - لأنهم يعلمون أنه لا يحب الأخذ عن أحد من غير المسلمين - فأجابهم بقوله : نحن أحق بموسى منهم ، فغيره فان جاء العام القابل نصوم معه يوما قبله أو يوما بعده . (أو كما قال) ، وقد ثبت عنه - صلى الله عليه وسلم - أنه قال لأصحابه مرة أيضا (إن اليهود والنصارى لا يصيغون - أى شيب شعرهم - فخالفوهم) متفق عليه . والرسول - عليه الصلاة والسلام - هو قائدنا ومعلمنا وهو الأسوة الحسنة فينا .

٦ - أن لا يكون فى لباس الرجل ما يشبه لباس المرأة ، ولا فى لباس المرأة ما يشبه لباس الرجل وذلك لنهى النبى - صلى الله عليه وسلم - عن ذلك ، فقد روى عن ابن عباس أنه قال : (لعن رسول الله المتشبهين من الرجال بالنساء ، والمتشبهات من النساء بالرجال) رواه البخارى ، وقد روى أبو هريرة أيضا : (لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم - الرجل يلبس لبسة المرأة ، والمرأة تلبس لبسة الرجل) رواه أبو داود بإسناد صحيح .

ذلك أن الله تعالى خلق الناس من ذكر وأنثى وأودع
فى كل منهما من الصفات ما يجعله أهلاً لتحصيل
مسؤولياته الخاصة به فى هذه الحياة ، وفى ارتداء
أى منهما لباس الآخر تغيير لنفسه ومشاره مما
يموته عن القيام بالأعباء الحياتية التى خلقه الله
تعالى لها . فيكون بذلك مفوتاً على الأمة فرداً نافعا
طالما عملت على أعداده والعناية به ، ذلك أن لطريقة
الإنسان فى ملبسه ومأكله ومسكنه وحديثه .. أثراً
فى نفسه وسلوكه ، هذا ما يراه ويشهد به العلماء
المتخصصون فى الدراسات النفسية والاجتماعية
بصرف النظر عن عظم أو صغر ذلك الأثر .

هذه هى أهم صفات وعلامات الزى الإسلامى ما
يتعلق منها باللبس للرجل والمرأة ، رأينا كيف سلك
الإسلام بها مسلك الأخذ بالحرية المقيدة بما يحفظ
حرية الآخرين فى أمورهم المادية والمعنوية وكلى رجا
أن يتفهمها شبابنا وشاباتنا ويدركوا مغزاها العميق
ويلتزموا بها محافظة منهم على استقلاليتهم وبعدها بهم
عن التسكع على موائد أزياء الأجانب التى تأتينا كل
يوم بجديد ظاهره الرحمة وباطنه العذاب ، يحمل فى
طياته كل ما يكفى للقضاء على أخلاقنا وممودنا
ومثلنا ، وهو ما لم تستطع فعله سيوف الصليبيين
وحروبهم التى امتدت قروناً .. « فهل من منكر ؟ » .

قصة العَدَد



العودة الى محمود

للاستاذ / محمد رشدي عبيد

حجرة صغيرة ضمت رغبين جمعهما طلب العلم في ديار الغربة اما احدهما ، وهو حسن فكان رضى النفس ، جم الأدب ، حلو الحديث ، حسن المعاملة ، لطيف المعاشرة ، مؤمنا بالله تعالى أعبق إيمان واسدقه بواظبا على العبادات يؤديها بخشوع وشوق ، وكان يملك إضافة الى علمه الدينى ، ثقافة مصرية ، واطلاعا على العلوم الحديثة ، يتابع ما جد من أخبارها ، وما اكتشف من أسرارها ، ليزداد إيمانا الى إيمانه .

لقد وزع أوقات فراغه بين العبادة والتأمل ، وبين المطالعة ، ولقد كانت مطالعاته تشمل كل كتاب يعرض تيارا فكريا مستحدثا ولو لم يرقه ، وكل لون من ألوان الثقافة ولو تضاد مع ما وقر عليه قلبه ، واشتملت عليه نفسه ، فأما غايته من الاطلاع على النظم والآراء البشرية المستحدثة بعيدة عن حدى الله نهى معرفة عمق المنحدر السحيق الذى هوى اليه الفكر الإنسانى ليقدر قيمة موقفه الفكرى السسابق ، لقد كان ينظر الى ضحالة المستنقع الوبى ، ليتذوق عذوبة النبع الذى ورده ، ويرتوى من منهل الصافي حتى ينقش ... استطاع الاستاذ حسن كما كان يلقيه زملاؤه بسيماء الذى تملوه الهيبة ، ووجهه الروحانى المشع وحديثه الأسر ، ان يسيطر على القلوب ويجتذب اليه النفوس ، وما أكثر الشاردين الذين أعادهم الى حظيرة الحق ، حيث الروح .. والحياة الإيمانية ، حيث سلامة التصور ونظام القلب .. واطمئنان النفس وراحة الضمير .

أما رفيقه (سعيد) فكان بالرغم من رقة حاشيته ، وظرفه ، وبشاشته البادية على وجهه المستدير يبدو في أحاديثه وآرائه ، وكأنه يجمعل اتجاهه فكريا مناقضا لاتجاه صاحبه ، وكان الأستاذ (حسن) يملك مهذبة غربية في معرفة الحالة النفسية التي يتصف بها كل من يقابله ويحادثه وذلك من خاذل التدقيق والتفرس في سيما وجوهرهم وحركاتهم والمواضيع التي يودون مباحثتها معه ، ولهذا فقد ساورته شكوك في أن رفيقه (سعيد) يعانى من آلام نفسية تضطرم نيرانها بين جنبيه بالرغم من اجتهاده في اخفائها عن مساحبه وكافة زملائه ، ثم يتيقن الأستاذ بان تهلل أسارير سعيد ، ودعاياته البيرة ، ما هي الا طلاء لامع لنفس متألبة منهدة البنين ، وان مرجه المصطنع هو الا ستار يخفى تحته القلق الذي يعانیه ، وذلك حين رجع الى البيت في يوم مشهود ، وما أن اقترب من الباب حتى سمع من داخل الحجرة انينا تحول الى بكاء مر .. استولت الدهشة على الأستاذ حسن وردد مع نفسه : الله .. انه سعيد ... ولكن ماذا أصابه ؟ .. ما الذي أحدث هذا الانقلاب المباغت في شعوره .. ؟ ويبادر الى طرق الباب طرقات قوية متتالية على غير عادته — كانت تعبر عن اللفظة والقلق اللذين يعمتلان في صدره اشتقاقا على رفيقه . نهض (سعيد) بخطى متناقلة ، وجفف من دمعه المنسابة على خديه ، ثم فتح باب الحجرة .. دخل الأستاذ وأغلق الباب وراءه برفق ودون أن يحول نظرته المستغرقة عن وجه رفيقه ، كانت ملامح سعيد لا تزال تنطق بالأسى ، وتعب من ما يجيش في صدره من انفعالات حبسية ، ولم يكن الأستاذ حسن قد أخذ معه من الأرض حين بادره الى السؤال عن سبب بكاء رفيقه ، قال :

— أخى ، لماذا كنت تبكى ؟ لقد كان مهدى بك أن أراك جذلانا ، تبلا جو الغربة غناء ، ولا تكف عن دمايك الحلو .. !!
أجاب سعيد بصوت ملؤه الشجن : أنا لم يصبنى يا أخى أى عارض ، وأنا لست الا ذلك المرح ، ولكن لأصارك : انى أحس بإحساسات اليمة تدمر كيانى ، وتهد من قواى ، وتذيقنى مر العذاب .. كما انى لا أشعر بالراحة الا اذا بكيت .. وليست هذه هي المرة الأولى التي أبكى فيها ، بل اننى قد لجأت الى الوسيلة كلما انتابتنى تلك المشاعر لأخفف من حداثها ، وأطفئ نيرانها المستعرة التي تلهب وجدانى ، ولكنى اجتهدت أن أخفى منك بكائى ، كى لا ألقى راحتك ، وأنقص سعدتك .

الأستاذ مستغربا : وما نوع تلك الأحاسيس التي تعاني منها الى هذه الدرجة .. انك تعيش كما تحب وتهوى .. لا ينقصك المال .. أما الشهرة فأنت في طريقك اليها .. أو هي في طريقها اليك ، ثم انك لا تنزع عن نفسك أية شهوة ، ولا تكبت أية رغبة أو نزوة ، لانك لا تعترف بوجود رقابة خارجية عليك ، ولا تبالى بأعراف المجتمع أو مبادئ الاخلاق ، الست تسدعى بأن الإنسان وجود مستقل فعليه أن يسعى لتحقيق هذا الوجود ، وبحرية كاملة ، وبدون قيود أو حدود ؟ اليس الآلم الذي تعاني منه قيذا يشل الطاقة الإنسانية ويحد النشاط البشرى ، فلماذا لا تحر نفسك من عقابله ؟ !

أجاب سعيد بصوت يائس : أخى حسن لو كانت تلك الآلام والمشاعر فيودا خارجية لتحررت منها ، ورميتها بعيدا عنى ، ولكنها تنبع من أعماق قلبى

وصميم وجداني ، ولهذا فلا سبيل لي الى ازالتها ، ثم أردف بعد تنهدة عميقة :
إني لا أرى نور الأمل في انكشاف مصابي ، وباعتقادي أن مأساتي ستراقتني
الى القبر ، ثم سأل مستعظما :

— هل تسمح لي أن أسرد لك قصتي بشيء من التفصيل ، عسى أن
أجد عندك الحل المرجى لمشكلتي أو أشعر بدفء اليقين في رحاب قلبك الكبير
الذي وسع الأم كثير من الناس وآمالهم ، وإن لم يكن ذلك فقد أحس ببعض
الارتياح ، وانذوق حفا من الانشراح عندما أجدك تشاركني آلامي وتسرني
عني بعض ما أعاني .. ؟

الاستاذ : ساكون سعيدا اذا ما استطعت أن أقدم لك العون الذي تبغيه ..
اننا معاشر المؤمنين نتقرب الى الله بتفريج كرب المصابين ، وادخال
العزاء والسكوى الى قلوب المنكوبين ، ومسح الدموع المتحدرة من عيون
البائسين ، واضاءة أسرجة الأمل في أفئدة القانطين ، قل أسمع ، ولا تخف عني
شيئا من جوانب المشكلة وأسرارها ومواردها ومصادرها عسى أن يوفقني الله
تعالى لحلها .. !!

سعيد : أخى لقد نشأت في أسرة لا تؤمن الا بالملم المادي ، ولا توقن
بوجود شيء لا تتع عليه الحواس ، أن والذي يرفض وجود عالم الغيب ، أنه
يعتقد بأن المصادفة هي التي خلقت الكون ، وأن الإنسان أنها أصله حيوان بلغ
هذه الدرجة من التطور والرقى بفعل عوامل الطبيعة ومتطلبات البيئة ، وهو
يرى في هذه الحياة الفرصة الوحيدة التي يملكها الإنسان ثم يصير الى العدم
ولهذا فإنه ينتهب لذات نهبا ، لا يبالي بدين أو خلق أو عرف ، وقد نشأني .
على ما يعتقده ، وانسجمت مع هذه الأفكار ربحا من الزمن ، الا أن صوتا بدا
ينبث من أعماق مؤاذي ، لقد بدأ خافتا خفيفا ، لكنه لم يزل يعلو ويمضو
وزادت الأوقات التي ينبعث فيها ، حتى أنه أخذ يكدر صفو أوقاتي ، ويحرمني
النتع الملمن بملذاتي ، ولا يزال يطرق هكري يتساوالاته !
الاستاذ : وماذا يقول ذلك الصوت ... ؟

سعيد : أنه يقول : أن خالقا قد خلقتك ، وخلق كل هذه العوالم البديعة ،
ووضع فيها القوانين والنواميس الثابتة .. أنه مصدر كل هذا التناسق والجمال
والإبداع في المخلوقات .. كل مظاهر الوجود ونواميسه تدل على عظمته ،
وحكمته ، وهذله ، ورحمته !!

تهلل وجه الأستاذ حسن فرحا وسرورا ، وشعر بسعادة فاهرة ثم قال
بلهجة الواثق من نفسه :

— أنه صوت الإيمان المحبوس .. أنه نداء الفطرة التي استيقظت من
غفوتها .. يابى الله إلا أن يتم نوره ، ويبين الآيات الدالة على وجوده في
الأنفس والأماكن .. أنه ... موجود .. قاطعه سعيد بلطف قائلا :

— أخى أما وجوده فقد توصلت إليه بعد تجربة مريرة .. أنه يتجلى
في كل شيء ، كل مظاهر العظمة والجمال توصل إليه ، الجبال السابعة التي
تنهر الأنفاس ، الوديان العميقة التي تدهش المتطلعين ، أصوات الطيور
الشجية ، انغام مظاهر الطبيعة المتناسقة جمال الطفولة وبراعتها المؤنسة ،
مبق الأزهار وأريجها العاطر ، جمال الفجر الوليد ، حمرة الشفق وقت
الأصيل ، همسات الأطياف السارية في الليل ... أين المصادفة العمياء من
كل هذا الجمال ، بل هو الله ... ولكن !!

الاستاذ : لكن ماذا يا اخي .. ؟

سعيد : ان هناك تناقضات تعتل في فكري ، أشعر معها بعبثية الحياة ، وانعدام الحكمة في بعض حوادثها بل اني لأشعر بالظلم البين في بعض وتأنسها ، اني لأتساءل : لماذا يموت اخيائي وذوو قريائي ثم ساتبهم انا في الطريق اللاحب الممتد ؟ ايعقل ان تنتهي بالموت حياة هذا الإنسان السذبي لا يتشوق لشيء كما يتشوق للخلود ، ولا يحب أمرا كما يحب البقاء والامتداد ؟ ما علة اختلاف الناس في الحظوظ الدنيوية التي وهبوا ؟ ما الحكمة من وجود الشر والمرض والألم ؟ هل من المعقول ان يستعلى الباطل ، ويضام أهل الخير ويسام الضعفاء الضعفاء ، ثم يذهب الكل ولا حساب ؟ ! انه ليقتض مشجعي تنزق الاواصر بين الأفراد ، واضطراب نار البغض بين الطبقات ، وتفكك الروابط بين الشعوب ... لقد فقدت السلام النفسي .. لقد ضقت بمشاعري هذه .. اني أريد ان أعيش عيشة سعيدة ولهذا فاني أغرق مشاعري طورا في المذات ، وطورا الجأ الى وسائل التخدير والتعمية .. فمط لكي اتسنى نفسي .. ولكن بدون جدوى يا اخي .. لقد تعبت في الهرب والاختفاء وأسلمت فيأدي للألم !

الاستاذ حسن : بهلا يا اخي ، أما الحقيقة الكبرى فقد توصلت اليها وأما تلك التناقضات التي تعتل في أفكارك فهي نفسها سوف تتخض عن الإيمان الوليد .. بل هي تبشير فجر العقيدة التي سوف تطمئن روحك المعذبة وتقر نفسك العظقة . وكانت علامت التطلع والأهتمام قد بدت ظاهرة على وجه سعيد .. ما أشد حاجته الى النور .. ما أعظم حاجته الى الزاد الروحي الذي حرم منه سنين طويلة !! واستطرد الأستاذ يقول :

— فأما وقد توصلت الى وجوده ، فما عليك الا أن توثق صلتك به ليمدك بالهدى واليقين ، وينحك سلامة الإدراك ، وصناء الفكر ، وراحة البال ، وأطمئنان الضمير اتعرف عليه من خلال كتابه الأخير للإنسانية (القرآن) الكتاب الذي لم تبل جدته السنون ، النبع الذي يفيض بالخير والنور ، انه وصفة ناجحة لجميع أمراض النفس والفكر والقلب ، فإذا ما حسنت صلتك بكتابه ، فقد حسنت صلتك به ، وإذا ما تم ذلك فيسكون لك ربك السند الحين في المحن ، سيملا نفسك رضى ، ويشرح صدرك أملا .. ثم أرفد :

— ساحل لك كل المشاكل في ضوء القرآن بلأذن الله ، فاسمع .
— نعم ..

— فأما رغبة الامتداد في الإنسان ونزعة البقاء والخلود في نفسه فان كتاب الله سبحانه لم يهملها ، بل انه قد جعل الحياة في الدار الآخرة هي الحياة الحقيقية التي سوف يحياها الإنسان ليكمل وجوده الناقص على الأرض ، وليشبع حاجته الى الخلود ، ويطمئنه على مصيره بعد الموت ، فما الموت الذي ترعبه الا معبر من حياة زائلة الى حياة باقية ، أو من قاعة امتحان الى حيث الدار التي تستعصى على الغناء وترغض العمم ، هناك يثاب المحسن ، ويعاقب المسيء ، وينال المؤمنون جزاء اتعابهم وتضحياتهم كائلة غير منقوصة ، وهناك ينتصف للمظلومين ممن ظلمهم ، ويدخل الطفاة والمتجربون أشد العذاب . اسمع قوله تعالى « اليوم تجزى كل نفس بما كسبت . لا ظلم اليوم » .

مقر عينا وطب نفسا يا صاحبي اذا ما نزل الموت ، او قريت ايامه فان الجنة قد تزينت وتجهلت للقاء عباد الله الصالحين ، فاجتهد ان تكون منهم ، ولا عليك اذا من القدر المحتم اذا ما اتبعت الهدى وتصد السبيل ... هك البشارة الالهية : « ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا » .

سميع : اذن فالدنيا دار بلاء وليست دار جزاء ووفاء .

الاستاذ : نعم . ولهذا فان الله سبحانه وتعالى لا يقيد ارادة البشر الحرة ، بل يدعمهم وما يعملون حتى حين ، فهو إهمال وليس إهمالا ، والكل منظر يوم لا ريب فيه ! اسمع قوله تعالى : « ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون ، إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار » .

سميع : لها هي علة اختلاف الناس في الحظوظ الدنيوية التي وهبها ؟

الاستاذ : هناك نقطتان أحب بيانهما في هذه الشبهة التي تتردد في صدرك ، اولاهما ... انه يجب تطبيق الشريعة الالهية في المجتمع الذي يجب ان يصل او يصل أكثر افراده الى المستوى الذي ينسجم ويعمل ويتقبل المبادئ الاسلامية ، تلك الشريعة التي تعطى كل ذي حق حقه ، وتعزل كل العدل في توزيع الخيرات والمنجزات ، وتضمن حقوق جميع الأفراد والطبقات ، ولكن حتى عند قيام ذلك المجتمع الصالح ، المتكامل ، المتساعد ، فان التفاصل تسي الرزق لا ينعدم ، ويبقى الاختلاف في مقدار الحظوظ المكتسبة ، والطبقات المتأله والجاه المحرز ، تلك سنة من سنن الله لم تتبدل ولن تتبدل قال تعالى « الله ييسر الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له » ولكن سننوب الى حكمة الله العليا مرة أخرى ونستشف طرعا منها فنقول : ان الله تعالى يبطل عباده بالخير والشر : « ونبلوكم بالخير والخير فتنة » وذلك ليعلم مدى صبرهم ، ودرجة شكرهم ، وصلابة ايمانهم ، ان هناك بعض النفوس يطغىها الخير ، وبعضها يقسها النعيم ، فتنسى الله وتحرم ذاتها من نعيم الآخرة ، ولهذا يتفضل الله تعالى على كل طائفة بقدر من متاع الدنيا يلائم حالتها ، ويناسب طبيعتها ، حتى لا تفضل ولا تشقى .

كما أنه لا بد من وجود الاختلاف في الثروة بين التشسيط والدؤوب ، والمتعطل الكسول ... بين المقتصد في انفاقه وصرفه ، والمصرف الميزر الذي ينفق ماله بغير حساب فيها ينفع ولا ينفع ... بين من جعل الآخرة أكبر همه فهو يقدم من ماله مهرا سخيا للجنة التي جعلها نصب عينيه ، والمقتر السذي لا يكاد يؤدي الحق المفروض في حاله للسائل والمحروم .

سميع : ولكن ما الحكمة من ابتلاء الله لأحيائه بالأمراض والالام والمصائب بينما اعداؤه يسرحون ويمرحون في الدنيا ، يتمتعون بطيبات الحياة ، لا يبالون بدين ولا يلتزمون بحد من حدود الله ؟

الاستفاد : أما أحياءه فإنه يبتليهم ليكشف صدق دعواهم ، ويتحقق من نواياهم وهو أعلم بها ، ثم إن هذه الآلام والحن التي تصيب المؤمنين لهم خير منجر لينابيع الرحمة التي تفيض من قلوبهم على عباد الله المحرومين ، وهي إحدى وسائل تقوية اتصالهم بربهم ، وتحسين علاقتهم به وتخليص قلوبهم من التوجه لغير الله . والتعلق بعرض من الأمراض العاقبة ، أنها أضاعة السى ذلك سلسلة من التمرينات المتعبة التي تؤهل المتقين لدخول جنة الله الخالدة التي لا يستحق دخولها إلا من طهرت نفسه ، وعظم صبره ، وهانت عنده التضحيات . أما أعداؤه الذين انحصرت همهم في نيل ثواب الدنيا ، وضاعت آمالهم فلم تتمدد حدود الأرض ، فلا بأس بالتفضل عليهم بشيء من النعيم الظاهري الذي يتقلبون فيه .

سعيد : وماذا تقصد بظاهر النعيم .. ؟

الاستفاد : أقصد أن النعيم الحقيقي حتى في هذه الدنيا ليس في زينة الحياة وزخارفها . بل إن سعادة النفس ، وراحة الروح ، وطبائنة الضمير لهم من أعلى لذات وأدومها . إن كثيرا من المؤمنين يعيشون في حرمان من لذات الدنيا ولكنهم سعداء أكثر من أصحاب المال والجاه والنعيم وكما قال تعالى : « **كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان ربك محظورا** » ولكن سوف يقال يوم القيامة للكافرين : « **أذهبتم طيبتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون** » . أما المؤمنون فينالون جزاءهم الأسمى في ذلك اليوم .

إنك تنظر الى جزء من قصة الحياة الإنسانية وهي الحياة على الأرض .. لكن القصة لم تكمل بعد فلا يضق صدرك ، ولا تذهب نفسك حسرة ، أن الناقد الأدبي ليحكم بتراجيدية القصة إذا كانت نهايتها مؤلمة وغير عادلة .. لكننا لم نر نهاية قصة الوجود .. فهذا المصائب الذي تشفق عليه الآن ، وتناثر لحاله ، قد تمنى أن تكون في محله في الآخرة ، وإنما العبرة بالخواتيم .

سعيد : فما هي الحكمة من اختلاف المؤمنين في عظم المصائب . ومقدار البلاء ؟

الاستفاد : إن عظم المصائب يتوقف على إيمان الشخص ، فكلما كان إيمانه راسخا زيد بلاؤه ليمس نفسه ، ويتأثر به كيانه ، وتدفعه شدة بمعاناته الى الاستنجاد بقوة الله والاسترشاد بهديه ، والتضرع على عتبة بابه ، والتبرؤ من الحول والقوة الإنسانية والألتجاء المطلق الى الله تعالى ، والتصرف على ضعف نفسه ، حتى لا يأخذه الغرور بسلطاته ، ويستغنى بقوة نفسه عن الاحتماء بقوة الله ، أما من ضعف إيمانه أو وهنت نفسه ، فيبتلى بالقدر الذي تتحمله نفسه ، ويثبت له إيمانه . ولهذا ورد في الحديث الشريف « **أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل** » يعني الرجل على قدر دينه « ولهذا فقد يتألم الإنسان لشخص ما أصابه بلاء شديد في نظره وهو يستغرب في تحمله

له ، ولكن هذا البلاء ليس شديدا على صاحبه الى تلك الدرجة الكبيرة ، كما ان الناس يختلفون في نوعية المصائب التي يتأثرون بها فقد يتأثر احدهم بموت ولده تائرا بالفا ، بينما هو لا يتألم كثيرا لخسارة مادحة في ماله وبالعكس ، كما انهم يختلفون في درجة وحدة الشعور بالمصيبة والاحساس النفسي بوقوعها ، لهذا كله فان المؤمن لا يسمعه الا الرضا والتسليم بالحكمة الالهية في اختيار عبيده بشتى انواع المحن والابتلاءات والمصائب .

سعيد : لقد سكبت في نفسي ايمانا راسخا ، لا تؤثر في بنيانه التشبهات ولا تزعمه المصائب ولكن شبهتي الأخيرة هي معرفة سر ما نرى في العالم بأسره من الشر ، والاختلاف ، والتضاد ، والضعف ، والحروب والفتن ؟

الاستاذ : السر واضح ، والسبب بين ، عندما لا يكون للناس جميعا مرجع واحد يؤويون اليه في اختلافاتهم ، ويثوبون بغضله الى رشدهم ، ويتبينون بواسطته الحق من الباطل ، هذا المرجع الذي ينظر الى الجميع نظرة واحدة ، نظرة حب ورحمة وعدل ، ثم يشرع للجميع شرعة تكفل حقوق الجميع وتصلح حالهم ، وتساوي بينهم ، حينئذ — حين فقد الناس او امراضهم عن هذا المرجع — سيختلف الناس باختلاف مصالحهم ، فتتنوع اتجاهاتهم وتتباين آراؤهم ، وتتعدد قياداتهم تبعا لذلك ، فيخطط كل شخص لنفسه ، وكل طبقة لمصلحتها ، وكل شعب لمنافعه ، ويتدخل الهوى الانساني ، والعقل الانساني القاصر ، والعلم الانساني الجزئي في رسم النظم والمبادئ والمخططات الخاصة لكل منه ، فيقع التصادم بين مختلف الفئات ، فتسود الفوضى ، ويمم الاضطراب ، وتتقطع الأواصر ، وتوقد الحروب وتثار الفتن ، ويضرب الظلم أطنابه ، ان ما تراه من هذه المظاهر المؤلمة ليست الا من صنع الانسان الذي غفل عن ذكر الله ، وأعرض عن شرعه ، وأتبع هواه ... سعيد : اذا ما أردنا سعادة نفوسنا ، وسلامة عقولنا ، وصلاح أحوالنا ، واستقرار مجتمعاتنا ... اذا ما رغبنا في خير الانسان ، وعزما على تخليصه من آلامه وعذاباته المضيئة ، وشغلته من امراضه النفسية ، واشباع خواسته الروحي ، وحل مشاكله المعنوية .. اذا ما أردنا للانسانية جمعاء الخير والسلام ، والتقدم والتحاب ، فلنعد الى الله ، لنعد الى شرعه ..

سعيد : اما أنا فسأعود اليه .. سأعود اليه .. سأبذل ما في وسعي لبلاغ هذا الخير لكل انسان تجمعي به علاقة تربية او صداقة او زمالة .. ثم اني لا انسى نفسك العميم لقد جعلك الله سببا لهدايتي .. وقاربا لنجاتي .. ساكون وميا لك ما دمت .. وكان الاستاذ يردد في نفسه الحديث النبوي الشريف « لان يهدي بك الله رجلا واحدا خير لك من الدنيا وما فيها » ثم تمتم « الحمد لله » ..



عالم الإسلام

تأليف الدكتور حسين مؤنس

عرض الأستاذ احسان صدقي العماد

والمؤلف الذي يعمل حالياً أستاذاً للتاريخ الإسلامي في جامعة الكويت، علم معروف في الأوساط العلمية العربية والدولية ، وله باع طويل وجهود مشكورة في ميدان التعليم الجامعي وفي ميادين البحث والتأليف والترجمة والتحقيق والنشر في كل ما يتعلق بتاريخ الإسلام والمسلمين . وكتابه الجديد « عالم الإسلام » يمتاز بكثيره من مؤلفاته وأعماله بجدية البحث والرصانة ، العلمية ، وقد تمكن المؤلف بثقافته الواسعة واشراؤه منظوره التاريخي ودقته المعروفة في الملاحظة والتحاليل والاستنتاج من الوصول الى كثير من المعلومات القيمة التي تغلب عليها

كتاب « عالم الإسلام » الذي صدر مؤخراً للدكتور حسين مؤنس يعتبر بحق دراسة جديدة في تكوين العالم الإسلامي وخصائص الجماعات الإسلامية . وتبرز أهميته للمكتبة العربية في كونه محاولة رائدة في ميدان التاريخ الاجتماعي الإسلامي الذي لا يزال ميداناً بكرًا يستنهض همم الباحثين الجادين . وقد أحاط الكتاب في صفحاته الستمائة التي الظواهر الاجتماعية العامة التي اشتركت فيها كل المجتمعات الإسلامية خلال العصور الوسطى . وكان ذلك كما يقول المؤلف بمثابة مقدمة أو مدخل للتاريخ الاجتماعي لبلاد الإسلام .

الجدة والموضوعية . وإذا كان المستشرق الألماني آدم ميتز (ت ١٩١٧) قد تطرق الى بعض ظواهر المجتمع الاسلامى فى كتابه « نهضة الاسلام » الذى نقله الاستاذ الدكتور محمد عبد الهادى ابوريده بعنوان الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى، فان دراسة ميتز برغم أهيتها وريادتها لم تشمل دراسة الظواهر الاجتماعية الاسلامية فى جميع بلاد الاسلام منذ نشأتها وحتى بدايئة النهضة الاسلامية الحديثة كما فعل الاستاذ مؤنس ، فضلا عن السروح والنظور الاسلامى الذى نحسسه بوضوح فى كتابه « علم الاسلام » ضم هذا الكتاب فى دفتيه سنة قصول ، والحق المؤلف بكل منها قائمة بالمراجع الخاصة به مما يفتح آفاقا لطالب التوسع فى أى بحث من مباحث الكتاب .

وجاء الفصل الاول تعريفا موجزا بعالم الاسلام كمدخل لا بد منه لتطيل بناء المجتمع الاسلامى وتبيان ملامحه المميزة . وسلط فيه ضوءا كاشفا قويا على قيام الجماعة الاسلامية فى المدينة المنورة ، والاسس الاجتماعية التى أقامها الرسول صلى الله عليه وسلم عليها ، والتطور السريع الذى شهدته الجماعة الاسلامية بعدد الرسول . وخلص الى أن هذه الجماعة والدولة الاسلامية كانتا شيئا واحدا حتى انتهاء خلافة عمر بن الخطاب بسبب سير الاثنيتين على قانون أخلاقى واحد والتزامهما بمبادئ الاسلام . وبعد ذلك شهد التاريخ الاسلامى بداية الانفصال بين الجانبين ، وتجلت هذه الظاهرة فى أوضح صورها زمن الدولة الاموية ، ثم استصغرت ظاهرة الانفصال هذه بعد ذلك ، وأخذ البون بين الجماعة الاسلامية والدولة يتسع حتى أصبحت نجد اليوم فى كل المجتمعات الاسلامية

كيتين متميزين هما الجماعة والدولة . ويقرر المؤلف أن هذه الظاهرة هى التى جعلت المجتمعات الاسلامية تنظم نفسها بنفسها دون الاعتماد على الحكومات ، الامر الذى يجعل التاريخ الحقيقى للأمة الاسلامية هو تاريخ الجماعات التى تكونت منها . وتناول الفصل بإسهاب ظاهرة انتشار الاسلام واكد أن الفسوح الاسلامية انما فرضت لكسر الحواجز المادية التى تقف فى وجه الدعوة الى الاسلام بالحكمة والموعظة الحسنة والقوة الصالحة .

ويقول الاستاذ حسين مؤنس فى هذا الصدد أيضا إن جانباً كبيراً من الفضل فى نشر الاسلام يعود الى قوة هذا الدين الذاتية وفضائله وسلامة مبادئه ، وأن هذه القوة والمبادئ هى السر فى اجتياز الجماعات الاسلامية للاخطار الكبيرة التى تهددت وجودها . وتحدث لى هذا المجال عن مدى انتشار الاسلام فى أوروبا والأمريكتين وأفريقيا ، ولكنه حذر فى نفس الوقت من سياسات الدول الإفريقية الحديثة التى تضع العراقيل فى سبيل انتشار الاسلام ، ودعا الى إزالة هذه العراقيل مؤكدا أن الإحصائيات التى تنشر عن عدد المسلمين غير صحيحة وأن عددهم يصل اليوم الى حوالى سبعمئة مليون مسلم .

وتناول المؤلف فى الفصل الثانى قيام الجماعة الاسلامية الاولى فى المدينة المنورة ، والاسس القانونية والأخلاقية والحضارية التى بنيت عليها باعتبار أن هذه الجماعة ظلت المثل الأعلى الذى تتطلع اليه جميع الجماعات الاسلامية فيما بعد . وأشار الى الخطوات المدروسة التى قام بها الرسول الكريم لتنظيم الجماعة الاسلامية الاولى وعلاقتها بسكان المدينة والمقيمين فيها والوافدين من

الاعتماد على النفس عند الجماعات الإسلامية ، ووجدت الجماهير سبيلها الى النفوذ والاحترام من طريق الدين والعلم الامر الذي جعل الفقهاء واهل العلم يصلون الى مراكز القوة ويصبحون في نظر الجماهير رؤساء الناس وشيوخ المجتمع ، وتطرق المؤلف بعد ذلك الى تطامع المدن والريف في المجتمع الاسلامي في العصور الوسطى ، وكيف استطاع الفلاحون القيام بمسؤولياتهم كاملة تجاه المجتمع باعتبارهم عهدة الاقتصادى ، أما الاضطلال هذه أصاب معظم المدن الاسلامية فعزاه المؤلف الى غياب الهيئات البلدية المسؤولة عن المرافق والمنشآت العامة وتواجهه الاخطار التي تهددها وخالف بذلك رأى العلامة ابن خلدون في خراب الأمصار القائمة على القانون الطبيعي لنمو الاشياء وهرمها وفنائها . ويرى المؤلف أن المجتمعات الاسلامية استطاعت النجاة بنفسها برغم كل الظروف والاطار بفضل نظام الأسرة الاسلامية المتناسك في الاسلام . وأورد المؤلف فصلاً مستقلاً عن الأحوال الاقتصادية في بلاد المسلمين ، وتحدث عن النشاط البرى والبحرى للشعوب الاسلامية ولاحظ ارتفاع نسبة التجار من عرب الجنوب والخليج العربى وكيف كان هؤلاء يفضلون لدى هجرتهم من الجزيرة الحوائى والمراكز التجارية حيث نجحوا في تكوين الثروات والبيوت التجارية . وأشار الى مراكز التجارة وطرقها ومعاملاتها المالية وإلى الدور الذى لعبه اليهود والنصارى في هذا المجال بفضل روح التسامح التي سادت العالم الاسلامي الذي كان له الفضل في انقاذ اليهود من الفناء في العصور الوسطى ، وكيف تنكروا فيها بعد للمسلمين وفضلهم . وأكد على ارتباط الازدهار الاقتصادي بتوفر الأمن ومستوى

عليها . وقدم الدكتور مؤنس في هذا الفصل دراسة جديدة ورائدة لاستور المدينة الذي يتنهل في الكتاب الذى كتبه الرسول بين المهاجرين والانصار ومن انضم اليهم من سكان المدينة ، وبين أهمية هذا الكتاب كوثيقة دستورية من الطراز الاول وصدورها عن التفكير القانوني لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحرصه على إبراز حقوق الجماعة وواجباتها في اتفاق حر واضح باعتبار أن الحرية كانت أساس الحياة في الجماعة التي كانت تضم رجالاً أحراراً ذوى اعتزاز بدينهم وجماعتهم وأشخاصهم . وإلى هذا الاعتزاز كما يقول الأستاذ مؤنس ترجع الانتصارات التي كسبوها في ميادين الشرف والجهاد والحكم والإدارة . وقدم المؤلف بعد ذلك صورة عامة للمجتمع الاسلامي وبلاجه البارزة كما بدت في إيجابياتها وسلبيه غير المشرف منها . ووقف طويلاً عند الأخيرة بالتحليل والكشف عن الأسباب ، وأوضح أن تلك النواحي ترجع لظروف قاسية ألمت بالمجتمعات الاسلامية في العصور الوسطى وبخاصة المتأخرة منها ، وذهب الى أن هذه الظروف هي التي جعلت الناس في تلك العصور يتصرفون بطريقة بعيدة عن مألوف ما عهد منهم باعتبار أن تدهور الظروف حول الإنسان يؤدي الى انحطاط في مستوى تفكيره وردود الفعل التي تصدر عنه . وأبرز في هذا الفصل ست عشرة ناحية من نواحي الحياة الاجتماعية لدى المسلمين في العصور الوسطى ، أهمها غلبة الروح الجماعية وعدم وجود طبقات متمايزة في المجتمع وتأكد الانفصال بين الحكومات القائمة وجماهير الأمة ، وقلة حماس الناس للاشتراك في جيوش الدول ومبادرة المجاهدين الى التطوع من أنفسهم لحماية ديار الاسلام والذود عنها ، فحقوت روح

نظام الحكم ، وإن هبوط هذا المستوى وطبع الحكام في ابتزاز ما في أيدي الناس من الأموال أدى إلى انهيار الاقتصاد الإسلامي بكافة أشكاله . وخصص المؤلف فصلا آخر للفنون التي أبدع المسلمون فيها كالمسرح والنحت والتصوير والموسيقى والفنص الشعبي وخیال الفن ، وأكد أن الفنون ظاهره انسانية عامة لا علاقة لها بالترفع كما ذهب ابن خلدون ووقت وقته طويلة عند الموسيقي والفناء وموقف الفقهاء منها ، ورأى أن السماع الذي كرهه أهل الفقه هو ما كان يجري في تصور المترفين وفي دور اللهو والحفلات . وأكد أن الموسيقى والفناء لم يستفكرا لذاتهما بل لما رافقتهما وأنه لا حرج في السماع للنغم الجليل النبيل السذي يعزف للسمر بالنفس إلى المعاني العالية أو الفناء الذي يتضمن معاني العفة والكرامة والوطنية ، ويؤدي إلى حشمة ووقار .

واختتم المؤلف كتابه بالحديث عن عصور الركود الإسلامية التي تغطي الفترة الواقعة بين القرنين الرابع عشر والثامن عشر للميلاد . وأوضح أن الدول الإسلامية التي ظهرت خلال هذه الفترة برغم ما قامت به من جهود مشكورة في رد العدوان الأوروبي من أجزاء واسعة من العالم الإسلامي ، إلا أنها لم تترك أثرا باقية في اصلاح شعوبها أو النهوض بمستواها الفكري على فرا ما فعلت الدول الأوروبية المعاصرة لها ولاحظ أن الجماعات الإسلامية جميعا تدهورت حالها وسادها الفقر وأخلاته المتبذلة في سقوط الهمم وفساد الاخلاق وتنشئ الجهل والمرض وضباب المستويات والمعايير وقد صور المؤلف الآثار المترتبة على أخلاق الفقر أصدق تصوير حين قال : « إن المجتمعات إلى تسودها نفسية الفقر تجد الناس جميعا يتخلقون بأخلاق

أبد الله في عمره ونفعنا باليزيد من أبحاثه وعلبه »

محمد المأهلا بنك عكاشو

شيخ جامع الزهونة الأعظم في تونس

للاستاذ : انور الجندی

في خلال عام ١٢٩٢ الهجري ودع عالمنا امام جليل عرفته نواتر الفكر الاسلامي منذ اكثر من سبعين عاما عاملا ناهضا محققا كان في بدء حياته الفكرية على موعد مع لقاء الامام محمد عبده في تونس عندما زارها في رجب ١٣٢١ (الموافق ١٩٠٣) ومنذ ذلك الوقت الى ان ووري التراب وهو عامل على النهج ، سائر على الطريق ، كفائد من قادة حركة اليقظة الاسلامية لم يتخلف ولم يتوقف بالرغم من طول الطريق وارتفاع السن وتعقد المشاكل وتعدد القضايا .

يقول نجله العلامة (محمد الفاضل ابن عاشور) في تاريخه للحركة الفكرية الإسلامية في تونس : « انه كان أكثر الناس اتفاقا حول الإمام محمد عبده والتحميا به مدة أقامته يتونس وكان رفيقاه من رجال الخلدونية الشيخ سالم أبو حاجب والشيخ محمد النخلي وكان ثلاثتهم من العاملين في تأييد الفكرة الإصلاحية ويقول الفاضل في تصوير دور والده (الطاهر) رحمة الله عليهما : « والشيخ محمد الطاهر بن عاشور يومئذ شاب في الرابعة والعشرين يعد أبرز مدرسي الجامع شبايا وفكاه وعلميا وأديبا وأسبقهم إلى اتباع استاذيه الشيخ سالم أبو حاجب والشيخ محمد النخلي في تأييد الفكرة الإصلاحية فكان من أنصار الجمعية الخلدونية ومن أعضاء مجلس إدارتها وكانت محبة الطلبة الزيتونيين فيه بالغة مبلغا عظيما » .

« وأقامت الخلدونية مجععا عاما القى فيه الأستاذ الإمام محاضراته التيمية من (العلم وطريق التعليم) فكانت تأكيداً وتقوية للحركة الإصلاحية وأصبحت أساس العمل لحركة الإصلاح الزيتوني وقد نشرتها جريدة الحاضرة تباعا ونظمتها عنها المؤيد والمناز وثمرات الفنون » .

تلك هي صورة هذا العلامة منذ ذلك الوقت البعيد قبل سبعين عاما على وجه التقريب وقد قص طرعا من حياته وجهاده في كتابه (اليس الصبح بقریب) الذي صدر عام ١٩٦٠ م أشار إلى أنه حصل على شهادة التطويب عام ١٣١٧ هـ وأنه شارك في تأسيس الجمعية الخلدونية ١٣١٤ وكان الشيخ محمد بن الخوجة هو

شيخ الإسلام في عهد تليذته . كما أشار إلى أن جمعية قديم المدرسة الصادقية تأسست عام ١٣٢٤ برئاسة (خير الدين بن مصطفى) وأنه شارك فيها مع عبد الرحمن الكعك والطيب ابن عيسى والصادق النيفر وبلحسن النجار ومحمد بن الصادق بن القاضي ومحمد الخضر بن الحسين ثم رأس هذه الجمعية بعد ذلك بقليل .

وقد جاء هذا العمل كله في دائرة اللقاء بالشيخ محمد عبده سابقا له وتبعاً بعد سفره وقد أكد هو هذا الاتصال في كتابه (اليس الصبح بقریب) حين قال : (في عام ١٣٢٠) هـ صادف ورود الأستاذ الشيخ محمد عبده إلى تونس والأفكار قد نضجت من الخوض في هاته المسائل ومطالعتها (يقصد دراسة العلوم الإسلامية) فاشترأت الاتفاق إلى سماع رأي زعيم النهضة المصرية وما كان إلا أن سماعوا عنه خطابه الذي ألقاه في قاعة الخلدونية وحضره مئات من أهل العلم فأنحى فيه على الحالة المتبعة عندنا وعندهم بما كان سببا لفتح ما بقي مغفيا من عيون الغافلين ولذلك أغضب عليه كاتبة الجامدين من أهل العلم إلا أنهم اعترفوا بوجود خلل في التعليم بالمستقيم وبما كتبه ومن أهم ذلك وأصرحه ما كتبه محمد النجار المفتي المالكي في رمضان ١٣٢١ هـ) .

وقد تضمن خطاب الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده توجيهها صالحا للمسلمين في البلاد المحتلة والمستعمرة وهو الاتجاه إلى العلم وترك السياسة حتى يفسح السبيل أمام المسلمين إلى التماس النهضة الحقيقية .

وقال الأستاذ محمد عبده في خطابه : ان معنى العلم الحقيقي الذي اتنى الله عليه ويميز به المهتمين من الضالين هو الكشف عن الامر الحقيقي بمعنى اذا أراد أن يبيلك عنه ببيل لا يقدر على ذلك ، كمن عرف طريقا موصلة الى غاية فلا يعمل عنها مهما حاول مضله فلا يكون العلم حقيقيا ولا تنبعث النفس الى تحصيله الا اذا كان كذلك بالنسبة الى الغاية المطلوبة منه » .

وقد دعا الشيخ محمد عبده علماء تونس الى الأخذ بأشياء ثلاثة :
أولا : الجد في تحصيل العلوم الدينية والذوقية في طريقها القريبة .
ثانيا : الجد في الكسب ومسران البلاد من الطرق المشروعة الشريفة مع الاقتصاد في المعيشة .
ثالثا : مسألة الحكومة وترك الاشتغال بالسياسة . وبهذا الامر يتم لهم كل ما يريدون من مساعدة الحكومة لهم » .

وقد اشارت جريدة الطان الفرنسية بعد ذلك الى أن في تونس طائفة معتدلة تعمل لترقية المسلمين في العلوم والمدنية مع المحافظة على دين الاسلام وأهلها يتبعون التعاليم التي كان يلقيها في مصر الشيخ محمد عبده والتي تنشر في مجلة المنار .

— ٢ —

أما علامتنا المرحوم (محمد الطاهر ابن عاشور) فقد تابع طريق (مدرسة المنار) في العلم من ناحية وظاهر الأستاذ الشيخ محمد عبده في كل معاركة بعد ذلك وفي مقدمتها ما أثير حول (مسألة الفتوى الترنسالية) . في أواخر عام ١٢٢١ هـ وهي التسي تتعلق باباحة لبس القبة واكل ذبائح اهل الكتاب .

وكانت القضية قد اثرت في مصر فبر أن الشيخ الطاهر في تونس لم يلبث أن أعد رسالة فقهية مدعمة بالأدلة على المذهب المالكي لتأييد مفتي الديار المصرية في هذا الامر نشرت يومئذ منسوبة الى مسالم تونس ثم اشار صاحب المنار من بعد انهما للشيخ ابن عاشور .

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فقد نهي الشيخ الطاهر مفاهيم العلم ومناهجه وشرع يكتب في المجلات الاسلامية حول تجديد الدراسات الاسلامية واصلاح التعليم الاسلامي وفي إحدى دراساته التي نشرت في مجلة السعادة : العظمى يدعو الى (اقامة نبراس مبين بين يدي الباحثين يكون متحفيا فيه من عواطف الاهواء والشبهات) فهو يرى ضرورة قيام التناظر والبحث دون أن يكون ذلك محفوقا بتعصب أو اضطهاد . كذلك فهو يدعو الى شجب الحجر على الراي لأن ذلك (يكون منقرا بسوء مصير الأمة ودليلا على انها قد أوجست في نفسها خيفة من خلاف المخالفين وجدل المجادلين) .

فهو ينهي عن أمرين : ضيق نفس الابتكار وتصور من اقامة الحق . ويرى أن قيد الاستعداد اذا خسلط نفوس أمة كان سقوطها أسرع من هوى الحجر الصلد » . ولقد امتد هذا الفهم وهذا الفضال من أجل تحرير مناهج الدراسات الاسلامية والتعليم طوال حياة مترجمنا الذي مد الله له في العمر فتوفي في الثالثة والتسعين بعد حياة حافلة تقلد فيها مختلف المناصب الاسلامية الكبرى وكان آخرها شيخ جامع الزيتونة الأعظم في تونس .

وقد شارك خلال حياته الفكرية

الطويلة في مختلف المسائل والقضايا التي تناثرت في مختلف أنحاء العالم الإسلامي ولكنه كان حريصا على أمرين كبيرين .

(الأول) : إصلاح التعليم الإسلامي وقد أورد في كتابه (اليس الصبح بقريب) دراسة تاريخية مطولة لما قام به في ذلك ولما شارك به من جهاد ونضال ومعارك في سبيل إصلاح التعليم الإسلامي منذ عام ١٢٢١ هجرية حتى السنوات القريبة قبل وفاته بقليل . يقول :

(قد كان حدا بي حادي الأجمال وأبلى على شجيرى منذ عام (واحد وعشرين وثلاثمائة وألف) للتفكير في طريق إصلاح تعليمنا العربى الإسلامى الذى اشعرتنى مدة مزاولته بتعلمها ومعلما بواصر حاجته الى الإصلاح الواسع النطاق فعمدت عزى على تحرير كتاب فى الدعوة الى ذلك وبيان أسبابه) ثم أشار الى أنه لم يدع فرصة خلال هذه السنوات السبعين الى إصلاح التعليم الا انتهازها وقدم فيها مقترحاته الإضافية وقد اتخذ من نفسه مثالا لمناهج التعليم التقليدية التى لو أزيحت لحققت الكثير له يقول : « انى على يقين اننى لو اتيت لى فى فجر الشباب التشبيع من قواعد نظمنا التعليم والتوجيه لاقتصدت كثيرا من مواهبى ولاكتسبت جما من المعرفة ولسليست من التطوُّح فى طرائق تبين لى بمد حين الارتداد عنها مع انى أشكر ما منحت به من أرشاد قيم من الوالد الجَد من نصحاء الاساتذة » .

وفى جولة واسعة وعبيقة وثرية بالتجربة والخبرة يكشف عن أسباب تأخر العلوم الإسلامية ويلخصها فى عبارة مضيئة هي :

« وجود مسائل لا حاجة اليها وإهمال مسائل وعلوم مهمة أو أن شئت فقل « الزيادة والنقصان » . ويفسر ذلك فى قوله :

خطا تعليم ما يفشل عزام النفوس مثل تعاليم الزهد الغالى وتعليم الحيل والمغالطات ومساوى الأخلاق .

كذلك يشير الى خطأ الإعجاب الى درجة التعميب بإراء المتقدمين كيف كانت وتزييها عن الخطأ « فاتحصر العلم فى نقل واحد من آخر وربما وجفت فى التآليف نقل قولين متجانبين وهما متضادان من غير أن يبحث المؤلف فى صحة أحدهما » .

(الثانى) تأكيد عظمة الشريعة الإسلامية والكشف عن ميزات النظام الاجتماعى فى الإسلام : وذلك فى كتابه الذى صدر فى السنوات الأخيرة من حياته تحت عنوان (أصول النظام الاجتماعى فى الإسلام) وقد تحدث فيه عن علاقة دين الإسلام بالمدنية وتأثيره فى ارتقاء الأمة وذلك بالكشف عن تاريخ الأمة كما كانت زمن ظهوره .

ويرى أن أصول النظام الاجتماعى فى الإسلام تقوم على (ضبط) حالة المسلمين فى مجتمعهم عن طريق إصلاح الأفراد والإصلاح الاجتماعى . فهو يرى أن الإسلام دين الفطرة ودين الاعتدال والتوسط ودين السباحة وأن (كل هذه الخاصيات نابعة من ميزة الإسلام الكبرى وهى أن هذا الدين دولة لأن دعوة الإسلام تخالف ما سبقها مخالفة بينة من جهة كونه دينا علما حيث استمد البشر الى قبول دين عام ومن جهة امتزاج الدين مع الشريعة بما يضبط للأمة أحوال نطامها الاجتماعى فى تصارييف الحياة كلها مكملة للنظام الدينى الذى هيا

أفراد الحياة للاتحاد والمعاصرة .
كما يشير إلى أن هناك خصليتين
أسماء الجمهور فمهما : هما التوكل
والرضى بالمفهوم والقدر وقد كشف
عن عقبة مفهوم الإسلام فمهما . ثم
خلص إلى ضرورة قيام (الجامعة
الإسلامية) مبينا طرأة الإسلام
الذي جعل جامعة الدين هي الجامعة
الحقة للمسلمين والتي ما عداها من
الجوامع فاعتبرها جوامع فرعية ما لم
تعتمد على الجامعة الكبرى وقال (أن
هذه الجامعة الإسلامية لا تعادلها
جامعة أخرى لأن جوامع الانساب
والوطن جوامع اصطلاحية قاصرة » .

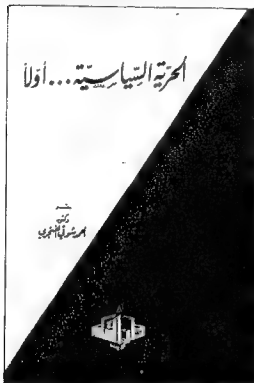
— ٢ —

من خلال دراسة نتاج العلامة
محمد الطاهر بن عاشور وآثاره في
الحركة الفكرية الإسلامية عابسة
والتونسية خاصة وآثره في الجامعة
الزيتونية والتعليم الإسلامي ودراسته
للنظام الاجتماعي الإسلامي ودفعه
عن مفهوم الإسلام الكامل الجامع ديناً
ونظام مجتمع على النحو الذي تتسم
به كل آثاره وخاصة كتابه الذي رد
فيه على ما كتبه (علي عبد الرازق)
من الخلافة وأصول الحكم وهو من
خير الدراسات التي واجهت أهداف
هذا الكاتب ومن تابعه في محاولة
انتقاص مفهوم الإسلام ومنهجيه
الجامع للإسلام ديناً ودولة . أقول
من خلال هذه الآثار كلها ومن خلال
ذلك العمر المديد العريض الذي لم
يتوقف فيه هذا العلامة عن العمل
وارتباطه الواضح بحركة اليقظة
الإسلامية من مصادرها الأولى
ومنابعها منذ دعا بها الإمام محمد بن
عبد الوهاب وتابعه عليها المصلحون

المسلمون نجدنا قادرين على إبراز
مكانة هذا العلامة بين أهل جيله
وقومه من ناحية وبين دعاة الإسلام
البارزين من ناحية أخرى .
أما في تونس فهو من أبرز ذلك
الرعي الذي عرف فيه عبد العزيز
الثعالبي ومحمد الخضر حسين
والصادق النيفر وهم صفوة المجاهدين
في الحقل الإسلامي والذين تأبعوا
مدرسة المنار حين اتجهت غرباً
وانصلت بقيادة النهضة في الجزائر
من أمثال عبد الحميد بن باديس ومحمد
البشير الإبراهيمي وأحمد تومنيق
المدني ومبارك البلي وغيرهم وكذلك
اتصالها بنهضة الإسلام في المغرب
ومن العاملين لها محمد العربي العلوي
ومحمد بن كتون وشعيب الدكالي
وتابعهم على الطريق العلامة علل
الفاسي وصفوة من العاملين .
هذا في الجناح المغربي أما في
المشرق فقد كان على طريقتهم مبد
الرازق البيطار وجبال الدين
القاسمي في دمشق ومحمد رشيد
رضا في مصر ونعمان أبو التتاء
الألوسي في العراق فهي مدرسة
ممدودة متصلة مترابطة تسير في
طريق واضح هو نفس الطريق الذي
سار فيه الأمامان الجليلان : أحمد بن
حنبل وابن تيمية .
وإذا كان لم يتح لنا أن نلتقي بهذا
العلامة الكبير فقد رأينا ثمرة غرسه
في ابنه الفاضل الذي قضى ممره
محمد الفاضل بن عاشور ، ذلك
النموذج الطيب الكريم الجامع بين علم
الإسلام وعلم الغرب ولفته من حيث
هذا كله في خدمة الإسلام رحم الله
العلمين الجليلين وكتب لهما منازل
الصادقين .



دراسة الجسلة



الحرية السياسية .. أولاً للكتور احمد شوقي الفجرى

كتاب يقارب التسعين صفحة ، يبحث بإيجاز دقيق مفهوم الحرية السياسية ، ويتناول بأسلوب شيق سلس العلاقة بين الحاكم المحكوم ، وحق الرعية في حكم نفسها بنفسها ، والمبادئ والقواعد التي نادت بها الأديان السماوية والمذاهب الوضعية ونصت عليها الدساتير الحديثة ، كما أنه يتعرض الى الاسباب التي أدت الى تخلف أمتنا عن ركب الحضارة ، وكذلك أسباب فشل الديمقراطية في عالمنا العربي ، ثم أخيراً يرسم لنا المؤلف الطريق السليم الى الحرية

السياسية وذلك بالمسودة الى روح الاسلام وتعاليمه النبيلة التي تنادي بالتراحم والتعاون والمعدل والمساواة .
والكتاب من نشر دار القلم ص.ب (٢٠١٤٦) الكويت .

لحاض في الثقافة الاسلامية للاستاذ عمر عوده الخطيب

كتاب يرمى الى تزويدنا بثقافة نافعة عن اسلامنا ، تؤدي الى ترسيخ مبادئه والايان بمثله ، ومهم نظمه ، ورد الشبهات عنه ، واجباط المكائد التي تحاك ضده من أعدائه وبخاصة في المضمار الفكري والثقافي - وهو يزود العقل بالحقيقة الناصعة عن هذا الدين وسط ضباب كثيف من اباطيسل الخصوم ، ويربي فيه ملكة النقد الصحيح التي تقوم المبادئ والنظم والمذاهب التقويم السليم .

والكتاب يحتوي على ستة فصول تشمل كل مدلولات الثقافة . منها الثقافة والمجتمع ، والثقافة والحضارة ، وركائز الثقافة الاسلامية وخصائصها والقوى المعادية لها ، والاستشراف والثقافة . وغير ذلك مما احتواه الكتاب المذكور الذي يقع في (٢٨٠) صفحة ومن نشر الشركة المتحدة للتوزيع ص ب (٧٤٦٠) بيروت - لبنان .

الفتاوى

وجهت هذه الاسئلة الى فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن عجيل
فاجاب عليها بما يلي :

هجر القرآن

السؤال :

ما تقولون فيمن يهجر القرآن العظيم وهو ممن يحسن القراءة ويعد نفسه
من الكتاب هل عليه اثم بذلك .. ؟

الاجابة :

اولا ينبغي ان نعرف معنى الهجر ، فهجر القرآن ذكره الله تعالى في كتابه
بقوله : « وقال الرسول يا رب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا » . . قال
ابن كثير : وذلك ان المشركين كانوا لا يصفون الى القرآن ولا يستمعون اليه
كما قال تعالى عنهم : « وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه »
فكانوا اذا تلى عليهم القرآن اكبثوا اللفظ والكلام بغيره فهذا من هجرانه ، وترك
الايمان به وترك تصديقه من هجرانه ، وترك تدبره وتفهمه من هجرانه ، وترك
المعمل به وامثال اوامره واجتناب زواجره من هجرانه ، والمعدل عنه الى غيره

من شعر أو قول أو غناء أو كلام أو طريقة مأخوذة من غيره من هجرانه ، وقال ابن القيم رحمه الله في الفوائد : هجر القرآن أنواع :

أحدها : هجر سماعه والإيمان به والإصغاء إليه .

الثاني : هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه وأن قرأه وآمن به .

الثالث : هجر حكمه والتحاكم إليه في أصول الدين وقروعه .

الرابع : هجر تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد المتكلم به سبحانه وتعالى .

الخامس : هجر الاستشفاء والتداوي به من جميع امراض القلوب وأدوائها ، وكل هذا داخل في قوله تعالى : « وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا » وأن كان بعض الهجر أهون من بعض . انتهى .

فهذا كلام أهل العلم في معنى هجر القرآن ، وأما ما ذكروه في آداب قراءة القرآن فقالوا : يسن ختمه في كل أسبوع . يعني في سائر السنة قال عبد الله بن الإمام أحمد كان أبي يختم القرآن في كل أسبوع وذلك لقول النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمرو « اقرأ القرآن في كل أسبوع » رواه أبو داود .

ويكره تأخير ختم القرآن فوق أربعين يوما بلا عذر ، قال الإمام أحمد أكثر ما سمعت أن يختم القرآن في أربعين يوما ، ولأنه يفضي إلى نسيانه والنهوان به ويحرم تأخيرها فوق الأربعين أن خشي نسيانه قال الإمام أحمد ما أشد ما جاء فيمن حفظه ثم نسيه .

وروى البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مثل القرآن إذا عاهد عليه صاحبه فقراه بالليل والنهار كمثل رجل له إبل فان عقلها حفظها ، وإن أطلق عقلها ذهبت ، فكذلك صاحب القرآن » .

وعن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « تعاودوا القرآن فوالذي نفسي بيده لهو أشد تفصيا من الإبل في عقلها » التفصي التخلص ، يقال تفصي فلان من البلية إذا تخلص منها .

وقال ابن كثير : ومضمون هذه الأحاديث الترغيب في كثرة تلاوة القرآن واستذكره وتعاوده لئلا يعرضه حافظه للنسيان فان ذلك خطأ كبير ، نسأل الله العافية منه .

وعنى حديث عبادة بن الصامت « ما من رجل تعلم القرآن ثم نمسه الا لقي الله أجذم » رواه الإمام أحمد وأبو داود وغيرهما . وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عرضت على أجور أمتي حتى القذاة والبصرة يخرجها الرجل من المسجد وعرضت على ذنوب أمتي فلم أر ذنباً أكبر من آية أو سورة أوتيها رجل فنسبها » . رواه أبو داود والترمذي وغيرهم .

قال ابن كثير : وقد أدخل بعض المفسرين هذا المعنى في قوله تعالى : « ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً » ونحشره يوم القيامة اعمى . قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى » وهذا الذي قاله وإن لم يكن هو المراد جميعه فهو بعضه فان الأعراض عن تلاوة القرآن ، وتعميضة للنسيان وعدم الاعتناء به فيه تهاون كبير ، وتفريط شديد ، نعوذ بالله منه . الى آخر ما ذكره ابن كثير رحمه الله .

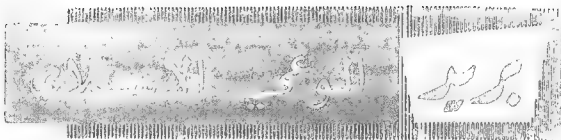
مد الإنسان رجله الى القبلة

السؤال :

ما حكم مد الإنسان رجله الى القبلة سواء هال القوم أو البقطة وعن أسناده ظهره اليها في المسجد وغيره .. ؟

الإجابة :

قال ابن مفلح في كتاب الآداب الشرعية (فصل) في كراهية أسناده الظهر الى القبلة في المسجد : ويكره أن يسند ظهره الى القبلة ، وقال أحمد يعني الإمام أحمد بن حنبل : هذا مكروه ، وصرح القاضي بالكراهية قال إبراهيم : كانوا يكرهون أن يتساندوا الى القبلة قبل صلاة الفجر ، رواه أبو بكر النجاد الى أن قال (فصل) في كراهية مد الرجلين الى القبلة : ذكر غير واحد من الحنفية رحمهم الله أنه يكره مد الرجلين الى القبلة في النوم وغيره . وهذا إن أرادوا به مند الكعبة زادها الله شرفاً فمسلّم ، وإن أرادوا مطلقاً كما هو ظاهر العبارة فالكراهية تستدعي دليلاً شرعياً ، وقد ثبت في الجملة استحبابه أو جوازه كما في حق الميت ، قال في المقصد في كتبهم : ولا يد رجله يعني في المسجد لأن في ذلك اهانة له ، ولم أجد أصحابنا ذكروا هذا ولعل تركه أولى ، ولعل ما ذكره الحنفية رحمهم الله من حكم هاتين المسألتين قياس كراهية الإمام أحمد الاستناد الى القبلة كما سبق ، فإن هاتين المسألتين في معنى ذلك ، والله أعلم .



أعداد : عبد الحميد رياض

طاعة أولى الأمر

ما معنى قول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فان تنازعتن في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا » .
وإذا كانت طاعة أولى الأمر من الحكام واجبة فما حدود هذه الطاعة الواجبة ؟

صالح قايد — عدن

لا شك أن الاسلام يوجب على المسلم الطاعة لله في كل امر ، فان مقتضى الايمان بالله أن يلقى المؤمن من الله ما سنه من شريعة أودعها كتابه الكريم يقبول ورضى وتطبيق ، لأن شأن المؤمن بالله المقر بالوحيته العلم بأن طاعة الله واجبة . ويجب كذلك على المؤمن طاعة رسول الله فيما بلغ عن الله من شريعة ، ومن من قواعد ، لأنه لا ينطق عن الهوى ، إن هو الا وحى يوحى اليه ، وطاعة الرسول في واقع الامر طاعة لله عز وجل « من يطع الرسول فقد أطاع الله » .
وانه لمن التفاف أن يدعى المرء أنه يؤمن بالله ، لكنه يتحفظ في الايمان برسوله ، لأنه لا حاجة له بذلك ، مع العلم أن الذي يؤمن بالله حقا لا بد أن يلقى بالتسليم والرضا ما شرعه على لسان رسوله ، ومن هنا كانت السنة النبوية الصحيحة مصدرا من مصادر التشريع بعد كتاب الله عز وجل .

بقي أن تعلم أن طاعة أولى الأمر من الحكام المؤمنين واجبة بنص هذه الآية « وأولى الأمر منكم » ولحديث الرسول صلى الله عليه وسلم « **السمع والطاعة** على المرء المسلم فيما أحب أو كره ما لم يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » وقوله صلى الله عليه وسلم « **لو استعمل عليكم عبد يقودكم بكتساب الله أسمعوا وأطيعوا** » فإذا أمر بمعصية أو أحل حراما أو حرم حلالا لم يكن أمينا على شريعة الله ، وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فلا طاعة له ، وليس له في رقاب المؤمنين طاعة واجبة ، وما أروع ما قاله الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضي الله عنه في خطبته المشهورة « أطيعوني ما أطعت الله فيكم فان عصيته فلا طاعة لي عليكم » .

وليكن الحكم دائما فيها يعرض من المشكلات ، والفصيل في كل ما يجسد من
أفضية ، هو كتاب الله وسنة رسوله ، تمشيا مع المنهج النبوي المأخوذ من الحديث
الشريف من النبي صلى الله عليه وسلم : « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا
بعدي كتاب الله وسنتي » .

الدين والدولة

هل هناك فصل بين الدين والدولة ، وهل يمكن أن يستقيم شأن الناس في
دولة دون أن يكون لها دين تحتكم إليه ؟
عبد الله سيف زايد — البحرين



ليس هناك أصلا فصل بين الدين والدولة ، لأن الإسلام يوجب أن تقوم
الدولة في عقيدتها ، وتشريعها ، ومنهجها في الحياة على أساس من الدين ،
فالإدارة والقوانين ، وكل ما له أثر في حياة الأمة ، لا بد أن يستمد صلاحية نفعه
من الدين ، والذين يدعون أن التمسك بالدين رجعية ، ودعوة إلى التأخر ، وتنكب
للجادة ، جانبهم الصواب كثيرا ، بل إنهم يحاولون بذلك أن يخطبوا في الأمة
نهبستها ، وأن يصوبوها بالجهل ، وأن يبعدها عن ما يصلحها ، ويقوم معوجها ،
وأماهم الدليل واضح ، فقد حكم الإسلام قرونا طويلة بلاد الإسلام بشريعته
السبحة ، على خير وجه ، وقد لوحظ أن فصل الدين عن الدولة في بلاد المسلمين ،
قد أدى إلى أن يأخذ المسلمون بقوانين لا تمت إلى دينهم ، وطبيعة تكوينهم بعلة ،
ولماذا نترك الدين ، ونفصله عن الدولة وهو الذي يدوم إلى إقامة المجتمعات
القوية على أساس من العدالة الاجتماعية ، دون مظالم ، والمساواة الحققة دون
أثرة ، والفرص المتكافئة دون احتكار واستغلال ، والحياة الكريمة دون بطالة
وكسل .

وهذه هي الدولة في ظل الإسلام ، كل متماسك كالجسد الواحد إذا اشتكى
منه عضو تدامى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر .

فلا دولة مدممة القوائم بلا دين يشد من أزرها ، ويكون صخرة تتحطم
عليها محاول الهادمين الداعمين إلى فصل الدين عن الدولة ، وأمامنا قول الله
تعالى « وأن أحكم بينهم بما أنزل الله » وقوله سبحانه « اتبعوا ما أنزل إليكم
من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء » وقوله سبحانه « والذين إن مكناهم في الأرض
أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمرؤا بالمعروف ونهوا عن المنكر » .

وخلاصة القول أن الدولة بلا دين جسد بلا روح ، فقوم الدولة المسلمة
دينها ، وفصلها عن دينها حكم عليها بالفناء ، وهادئة تنتردي فيها بلا روية .
وإن كان هناك دول أقامت صرحها على أساس من الإلحاد واللا دينية ،
فإنها لا شك منهارة من داخلها يتحكم فيها شرمة من الأراذل لا ترفع في الناس
إلا ولا ذمة ، لأن أساس العدل فيها متداع ، ورياط المجتمع فيها ملكك العرى ،
ولا تلبث أن يزول سلطانها من النفوس فيعيش أبناءها نهيا للرزيلة ، وهذا للانحلال
البنفيس المقيض للعائم ، فيبدون وقد مزق اللهب كيانه ، وهذه الحقيقة المائلة
أمامنا في المجتمعات اللادينية في الأمم التي اتخذت لنفسها خطا غير متلائم مع
الدين ، بل ومناف لكل دين تؤكد بلا خفاء أنه لا يمكن أن يستقيم شأن الناس بلا
دين تحتكم إليه والإسلام هو غاية ما تصبو إليه الإنسانية .



قالت صحف العالم

رسالة الأزهر

تحدث فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الجامع الأزهر عن رسالة الأزهر وذلك في مقابلة أجراها معه مندوب صحيفة (أخبار العالم الاسلامى) بمكة ، فقال فضيلته :

نشر العلم الاسلامى هو رسالة الأزهر الخالدة . وهذه الرسالة تتحقق بطرق شتى منها :

١ - استقبال الواندين من مختلف الاقطار الاسلامية لتعليمهم فى رحاب الأزهر ، وقد بنى الأزهر من أجلهم مدينة سكنية تتسع لخمسة آلاف ، ياكلون فيها ، ويبيتون ويتعلمون ، على نفقة الأزهر ، وياخذون بعض المال كمصاريف شخصية . وقد رصد الأزهر الآلاف المؤلفة من أجل ذلك .

٢ - وإذا كان الأزهر يستقبل الواندين فانه فى الوقت نفسه يرسل المبعوثين الى مختلف البلاد فى العالم يدرسون ويعظون وينشرون العلم الاسلامى فى بقاعه فى حاجة الى ذلك . وقد رصدت الدولة لذلك نصف مليون من الجنيهات المصرية .

٣ - والدعوة الى الله عن طريق الكتب والرسائل تطيع وتباع بشئ رمزى .
٤ - والدعوة الى الله عن طريق رد الشبهات والرد على الانحرافات التى تند من الغرب فى صور مختلفة .

٥ - ومن المشاريع التى يزمع الأزهر القيام بها ، مشروع دائرة المعارف الاسلامية ، وهو مشروع جليل يخطط الأزهر له ..

٦ - ويقوم الأزهر الآن بعمل تفسير وسيط للقرآن وهو يصدر تباعا ، وقد صدر منه بالفعل بعض الأجزاء .. وهكذا يتابع الأزهر الدعوة الى الله بشئ الوسائل وفى حدود إمكاناته المادية ..

ولا يمكن أن ننهى الحديث عن نشاط الأزهر دون أن نشير الى مشرومين جليلين :

أحدهما : مشروع تقنين الشريعة الاسلامية ، وقد انتهت الأزهر من تقنين الجانب المدنى من الشريعة بحسب كل مذهب ، وأصدر فى ذلك كتباً من كل مذهب مستقلاً ، ثم بدأ بتقنين الشريعة على وضع موحد ، أى أنه يختار من المذاهب الأقوى حجة والأثبت دليلاً والانسب للعصر الحاضر ..

أما المشروع الثانى : فهو موسوعة السنة ، وذلك بتحقيق أمور ثلاثة :

أولها : جمع الأحاديث .

ثانيها : التعريف بالمصطلحات .

ثالثها : التعريف برجال الحديث .

وهو مشروع طويل المدى ، ولكن العمل بدأ فيه ، ونرجو من الله التيسير . وأن المشاريع التى ذكرنا تنال من رعاية الأزهر الكثير .. وإذا كان الحديث يقتضى التنويه بميدان بالذات ، فانه من غير شك ميدان التعليم : وذلك أن الأزهر

تتبعه معاهد لتعليم القرآن ، ومعاهد أخرى للتعليم الابتدائي ، ومعاهد للتعليم الثانوي وجامعة الأزهر وحدها أى التعليم العالى فى الأزهر يبلغ طلبتها حوالى الأربعين ألفا ، يدرسون مختلف العلوم ، وقد استكمل الأزهر الآن فى جامعته مختلف المعلوم ..

وأذا كانت جامعة الأزهر وحدها تضم ما يقرب من الأربعين ألفا فان معاهد الأزهر على مختلف مراحلها تضم ألاما من الطلبة ، نرجو الله سبحانه وتعالى ان يهين لهم مستقبلا كريما ..

المؤسسة الإسلامية المالية

اتفق وزراء مالية الدول الإسلامية على إقامة بنك اسلامى عالمى يكون سندا للدول الإسلامية تجابه به مطالب العصر وحاجاته ، والأمة الإسلامية وهى تملك الطاقة الضخمة من مصادر الثروة كما تملك فى نفس الوقت الطاقة الضخمة من القوة البشرية ، هذه الأمة أولى بها ثم أولى أن تدرك أهمية وحدتها الاقتصادية فى عصر قامت فيه التكتلات الاقتصادية العالمية بهدف نهب خيرات المسلمين والسيطرة عليهم اقتصاديا واستغلال ثرواتهم لخدمة أغراضهم الاستعمارية ولتدعيم الكيان اليهودى المعادى للإسلام والمسلمين .

اليوم قد أن لابتنا الإسلامية ذات التشريع الإنسانى والحضارة الثالثة التى أضاعت للعالم طريقه نحو من عشرة قرون من الزمان ، أن تاهب لاستئناف القيام بدورها الحضارى من جديد ، فقد كان العالم الإسلامى ، وما يزال ، مصدرا للاشباع الفكرى والحضارى ، تهتدى به البشرية فى مختلف عصور تقدمها . وهو أقدر اليوم على أن يبدد أسباب القلق وأن يكون مصدر خير وبركة على العالم كله .

ومن أجل ذلك يجب انشاء (المؤسسة الإسلامية المالية للتنمية الاقتصادية) براسمال يوزع على أسهم أسمية ولا يجوز لغير المسلمين الاكتتاب فيها أو تلقيها بالتنازل وإنما تكتتب فيها الحكومات الإسلامية والجمعيات والمنظمات والمؤسسات والأفراد والشخصيات الإسلامية حتى تقوم على أغراض مشروعات التنمية الاقتصادية فى مختلف مظاهرها من صناعة وزراعة وتجارة وخدمات لحسابها أو لحساب الغير أو بالاشتراك معه .

كما يجب أن تحتوى فى مجالها أوجه الاستثمار فى مشروعات التنمية وقبول الودائع وفتح الحسابات الجارية وتنظيم الاكتتابات العامة وسندات الشركات أو غيرها وأنشاء صناديق مشتركة لاستثمارات الأوراق المالية وإدارتها لحساب المشتركين وجميع الأعمال المتعلقة بالأوراق المالية وتحصيل ودفع الاوامر وأذن الصرف وغيرها من الأوراق ذات القيمة .

ومؤسسة كهذه تهدف الى توحيد الاقتصادى للأمة الإسلامية ودعم وإبراز أسسه ومقوماته علميا وعمليا فكريا وتطبيقا ، لا بد لها من أن تنشئ صندوقا للزكاة يقطع له ٢.٥ ٪ من صافى الأرباح يضاف اليه ما يقدمه لها المسلمون من مال الزكاة لتنفق حصيلته على مصارف الزكاة الشرعية فى الإسلام بالنسبة للمسلمين فى جميع أنحاء العالم وعلى خدمة نشر الدعوة الإسلامية وإقامة المساجد والمدارس والمستشفيات .

ونفنا الله للخير والحق ، وهدانا لهدى الكريم ، وأتار قلوبنا بنور الاخلاص واليقين .

عن مجلة الشبان المسلمين القاهرية

بأقلام القراء

واجب علماء المسلمين

فى خضم هذا الصراع الداوى بين الاسلام وخصومه ، بين الحضارة الحديثة بكل ما تملك من قوى مادية وفكرية ، وبين الاسلام وما يحوى من مثل عليا ومنهاج سوى يبنى الحياة ويسعد الانسانية المعذبة من شقوتها المادية ، وعدالة تصبو إليها النفوس ولن تجدها الا فى هذا الدين .

فى هذا الصراع يقوم واجب علماء المسلمين لانتقاذ شباب المسلمين من وهدة المادية ، ونلسفات الإلحاد ، وفساد القيم ، وضلال المناهج ، والتحلل فى الأخلاق والسلوك .

ويتساءل نفر كيف يؤدى علماء المسلمين واجبهم المقدس ؟ أيبعث الفكر من شتى العصور وطبعه على ورق صقيل بدلا من الأصفر ؟ أو التنبؤ والتنبؤ لكل ما جاء فى التراث الاسلامى ، ليقف هذا التراث أمام الفكر المعاصر ؟ وهل يفى هذا التراث بكل حاجات العصر . ؟

ومع تقديرنا لهذا التراث المجيد ، وقد قام بالحفاظ على الاسلام وعقائده ، وكان مصدر قوة للإسلام وفخر واعتزاز . فإذا كان الاسلام قد انتصر عسكريا لدك صروح البقى والظلم فى امبراطوريتى فارس والروم ، فإنه قد انتصر فكريا وعقائديا وتبكت جذوره فى نفوس البسلاد المفتوحة حتى نسوا ماضيهم نهائيا ، وأصبخوا هم هو ، وهو هم . يدافعون عنه كما يدافعون عن انفسهم أو أشد .

وهذا كل ما نطلبه اليوم من علماء المسلمين . أن يبرزوا الاسلام ككتوة محطبة للفكر المنحل فى الاقتصاد ، والاجتماع ، والسياسة . ولن يكون هذا ببعث الفكر الاسلامى عبر العصور . بل بدراسة لغة الحاضر ومناهج فكره ، دراسة التخصص فى شتى الدراسات الحديثة فى علم النفس ، والاجتماع ، والنظم السياسية والاقتصادية ، ثم نقدها بالاسلام نقدا يهى تعلق الشباب بها . نقدا منهجيا موضوعيا تحنى له الجباه ويبعث الذى كثر . واى تخلف من هذه الدراسة الجادة نلن يجد الشباب الحائر بين زخرف المدنية الحديثة وبين دينه ودين آباءه وأجداده إلا مزيدا من الحيرة والضياغ ، والفسناء فى الفكر الوافد .

والشباب اليوم يجد القصة العاطفية والتمثيل المسرحي ، وفنون الشعر من السهل المنتع . تقوده الى ما يريد ، وتقنمه بكل ما يملئ عليه ، حتى يظن القارئ أنه بلغ غاية الثقافة من كل ما يقرأ .

فأين القصة الإسلامية التي توحى بفكرة الاسلام عن الحياة ونظامه في المجتمع ، وسمو فكرته في بناء النفس الانسانية ؟ ! ولا أريد قطعاً القصص البائدة التي لا تمس المشاعر ولا تحرك الأحاسيس .

والشباب اليوم يخرج من الجامعة ، وكل ما عنده حضارة الغير وأفكار الغير . فهو يتقمص شخصية غير شخصيته ويقلد غيره ليبدو مفكراً متطوراً ، ويلحق بأساتذته الغربيين . فأين الفكر الاسلامي الحديث الذي ينقد الفكر المعاصر وينهي قدسية العلم الحديث في النفوس المصبوغة به ، وتقوم الجانصات الاسلامية بدراسته ؟ !

وعلى الرغم من وجود بعض المحاولات في هذا ، فإنه غير كاف . ولا هو بعمق الموضوعية الموسعة ، لنرى الفكر الاقتصادي الاسلامي منهاجاً كاملاً يخطم كل النظم الأخرى . ونرى الفكر السياسي الاسلامي يدك غرور النظم المعاصرة .

لقد نجحت النظم العصرية في إقناع الفتاة . أن الاسلام قيد لا بد من التحرر والاطلاق من عقالة . رغم أن القيود الحديدية على حرية الانسان المعاصر لا تفكها الا الثورات الحمراء لكي تجدد قيوداً أخرى لم تفق مرارتها بعد . كل هذه القيود السوداء على اعناق البشرية لا تظهر للميان .

فهل أبان علماء المسلمين هذه القيود . لتحرر الانسان بالاسلام والى الاسلام ويقبل على الدفاع عنه كأشد ما يدافع عن نفسه وعرضه وأرضه ؟ ؟ !

أقدم هذه الصرخة المخلصة الى علماء المسلمين وأنا أقل منهم بأما في هذا . إنما حالة الاسلام تدفعني الى هذا النداء الحار إليهم .

الشيخ محمد عبد الغني أبو شرفي



الجمهورية الإسلامية الليبية

اعداد : الأستاذ فهمي الامام

الكويت :

● لقاءات خير وعمل تلك التي تمت في لاهور بين ملوك وأمراء ورؤساء الدول الإسلامية لخدمة الإسلام والمسلمين ، وقد كان للكويت دور بارز في انجاح المؤتمر ، وكان لسمو الأمير الكندي نشاط مرموق تجلى في اللقاءات المباركة التي تمت بين سموه وقادة المسلمين .

● تفضل حفرة صاحب السمو أمير البلاد الأعظم غادلي بصريح عقب عودته من مؤتمر لاهور الإسلامي جاء فيه : يمتاز هذا المؤتمر بالنظرة الواقعية لما تواجهه الشعوب الإسلامية من قضايا ومشاكل ، وما يواجهه الإسلام كعقيدة من تهديدات .

● زار البلاد وفد جزائري برئاسة الرئيس الجزائري هواري بومدين لبحث مع المسؤولين الكويتيين الوضع الراهن وأحداث المنطقة . ويرى سمو الأمير الأعظم مع سيادة الضيف ومعها سمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء وسعادة وزير الخارجية ووزير الاعلام بالوكالة .

● قام رئيس الأركان العامة بزيارة القسوات الكويتية وقوات سلاح الطيران الكويتي المرافطة في جمهورية مصر العربية .

● تقيم وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية احتفالها السنوي بذكرى مولد الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم ، وذلك في مسجد السوق الكبير عقب صلاة عشاء الخميس 11 ربيع الأول .

● تقوم الوزارة بإرسال كميات كبيرة من المطبوعات الإسلامية باللغات المختلفة الى منطقة جنوب شرق آسيا وقارة افريقيا لما تعرض له الاقلتان من تهشير لمرأى مركز .

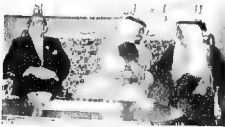
● قرر مجلس الوزراء تبسييم مسؤدين من المساعدات المالية للمسلمين في الوطن .



صاحب السمو الأمير مع جلالة الملك فيصل



سمو أمير البلاد والرئيس الجزائري هواري بومدين .



سمو أمير البلاد مع أمير دولة قطر بهضور رئيس وزراء ماليزيا



سمو أمير البلاد يستقبل في مقر إقامته بـلاهور رئيس منظمة التحرير الفلسطينية .

مصر :

- ألغيت الرقابة على جميع الصحف والمجلات ما عدا كتب ومجلات الجنس ، والكتب والنشرات التي تدعو إلى الاتحاد أو تنحيز في الأديان أو تهجم الأهداف القومية للبلاد .
- صادرت السلطات مجموعة مصاحف مزورة كانت مرسلة بالبريد إلى هيئات ومؤسسات خاصة في القاهرة والإسكندرية .. وتركزت التزوير على حذف الآيات التي تتحدث عن اليهود وعن عيسى عليه السلام ، ويعتقد أن هذه المصاحف قد تم تزويرها في إسرائيل .
- قرر الأزهر عقد ندوات لطلبة الجامعات والمعاهد العليا مصر كل يوم لنشر تصنيف القرآن الكريم .. وقد أمتنع الدكتور عبد العظيم محمود شيخ الأزهر أولى هذه الندوات بالجامع الأزهر .
- أجرى وفد إسلامي من جمهورية غينيا بيساو محادثات مع المسؤولين في الأزهر لبحث تدعيم العلاقات بين مصر وغينيا بيساو في المجال الإسلامي .

السعودية :

- أدلى السيد عمر السقاف وزير الدولة للشئون الخارجية بتصريح جاء فيه : أن موقف المملكة من عروبة القدس قد أوضحه جلالته الملك فيصل أكثر من مرة وهو يمثل في الإصرار التام على عروبة هذه المدينة المقدسة .
- أصبحت « رابطة العالم الإسلامي » عضوا في الأمم المتحدة .. كمنظمة عالمية غير حكومية .. وللرابطة نشاطات واسعة في مجال الدعوة الإسلامية والتقريب بين التشيع والاسلامية .
- زار مائلا وزير الخارجية السعودي للوقوف على أحوال المسلمين في الفلبين .

الجزائر :

- يبحث الملك في الثامن للفكر الإسلامي الذي يعد أوائل هذا الشهر في مدينة بجاية وشجع الأقليات والجانبايات الإسلامية ، ومساهمة الفكر الإسلامي في مجالات العلوم والفنون ، ودور الفكر المسلم تجاه أمته والإنسانية .

سوريا :

- أعلن الرئيس السوري أن الحرب مع إسرائيل لم تنته ولن تنتهي بالنسبة إلى سورية ما لم تتحرر الأرض العربية بكاملها وما لم تعد إلى شعب فلسطين حقوقه كاملة .
- صدر قرار حكومي بفرض غرامة مالية ضد كل من ينشر صورا مسيئة للأفلاق .

السودان :

- سيفتح في السودان مركز إسلامي تساهم فيه الدول العربية والإسلامية وذلك لفنشر الإسلام في أفريقيا .

أخبار متفرقة

الفلبين :

- لا يزال المسلمون يقاومون بحلف العيلات الشرسة التي تستهدف إبادتهم ولا يزالون يترقبون من المسلمين الموقف الحازم لتصرفهم وحمليتهم .

لاهور :

- رفع السكرتير العام للمؤتمر الإسلامي تقريرا إلى ملوك ورؤساء الدول الإسلامية تضمن إنشاء مجلس إسلامي أعلى يضم العلماء والفقهاء بهدف وضع خطة إسلامية ، تنبش مع روح العصر ، وإنشاء جامعتين إسلاميتين في أوغندا والفلبين .

كوالا لامبور :

- يقوم السيد شكور عبد الرحمن رئيس اللجنة التحضيرية للتيك الإسلامي بجولة في الأنطار العربية لشرح التقدم الذي أحرزه بصدد إنشاء البنك .

باتكوك :

- صرح مصدر مسئول بأن هندا من الشخصيات الإسلامية في تايلاند بصدد تأسيس هيئة للدفاع عن مصالح المسلمين في البلاد .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحاي لدولة الكويت

المواقيت الشرعية بالزمن الزوالي						المواقيت الشرعية بالزمن الفروي						أيام الأسبوع	
فجر	شروق	ظهر	عصر	غروب	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	غروب	عشاء	مارس ١٩٧٤	أيار
دس	دس	دس	دس	دس	دس	دس	دس	دس	دس	دس	دس	١	الاثنين
١٨	٢١	٥٣	١١٤٥	١٠	٧٢٠	٦	٢٣٣	١٥٥	٥٤٧	٤١٧	٢٥	١	الاثنين
١٨	٢١	٥٢	٤٤	١٤	٢٠	٢	٢٣	٥٤	٤٦	١٦	٢٦	٢	الثلاثاء
١٨	٢٠	٥١	٤٢	١٢	٢١	٣	٢٣	٥٤	٤٥	١٥	٢٧	٣	الأربعاء
١٨	٢٠	٥٠	٤٠	١٠	٢٢	٤	٢٣	٥٤	٤٤	١٤	٢٨	٤	الخميس
١٩	١٩	٤٩	٣٨	٨	٢٣	٤	٢٤	٥٣	٤٢	١٢	٢٩	٥	الجمعة
١٩	١٨	٤٨	٣٦	٦	٢٤	٥	٢٤	٥٣	٤١	١١	٣٠	٦	السبت
١٩	١٨	٤٧	٣٤	٤	٢٥	٦	٢٤	٥٣	٤٠	١٠	٣١	٧	الأحد
١٩	١٧	٤٧	٣٣	٢	٢٥	٦	٢٤	٥٣	٣٩	٨	١	٨	الاثنين
١٩	١٧	٤٦	٣١	٠٠	٢٦	٧	٢٤	٥٢	٣٨	٧	٢	٩	الثلاثاء
١٩	١٦	٤٥	٢٩	٩٥٨	٢٦	٧	٢٤	٥٢	٣٦	٥	٣	١٠	الأربعاء
١٩	١٦	٤٤	٢٧	٥٦	٢٧	٨	٢٤	٥٢	٣٥	٤	٤	١١	الخميس
١٩	١٥	٤٣	٢٦	٥٤	٢٨	٨	٢٣	٥١	٣٤	٣	٥	١٢	الجمعة
٢٠	١٤	٤٢	٢٤	٥٢	٢٩	٩	٢٣	٥١	٣٢	١	٦	١٣	السبت
٢٠	١٤	٤٢	٢٣	٥١	٢٩	٩	٢٣	٥١	٣٢	٠٠	٧	١٤	الأحد
٢٠	١٣	٤١	٢١	٤٩	٣٠	١٠	٢٣	٥١	٣١	٣٥٩	٨	١٥	الاثنين
٢٠	١٢	٤٠	٢٠	٤٨	٣١	١٠	٢٣	٥٠	٣٠	٥٨	٩	١٦	الثلاثاء
٢٠	١٢	٣٩	١٨	٤٦	٣١	١١	٢٣	٥٠	٢٩	٥٧	١٠	١٧	الأربعاء
٢٠	١١	٣٨	١٦	٤٤	٣٢	١١	٢٢	٥٠	٢٧	٥٥	١١	١٨	الخميس
٢٠	١٠	٣٧	١٤	٤٢	٣٢	١٢	٢٢	٤٩	٢٦	٥٤	١٢	١٩	الجمعة
٢١	١٠	٣٧	١٣	٤٠	٣٣	١٢	٢٢	٤٩	٢٥	٥٣	١٣	٢٠	السبت
٢١	٩	٣٦	١١	٣٨	٣٤	١٣	٢٢	٤٩	٢٤	٥١	١٤	٢١	الأحد
٢١	٩	٣٥	١٠	٣٧	٣٤	١٣	٢٢	٤٨	٢٣	٥٠	١٥	٢٢	الاثنين
٢١	٨	٣٤	٨	٣٥	٣٥	١٤	٢٢	٤٨	٢٢	٤٩	١٦	٢٣	الثلاثاء
٢١	٧	٣٣	٦	٣٣	٣٦	١٥	٢٢	٤٨	٢١	٤٨	١٧	٢٤	الأربعاء
٢١	٦	٣٣	٥	٣١	٣٧	١٥	٢٢	٤٨	٢٠	٤٦	١٨	٢٥	الخميس
٢٢	٦	٣٢	٣	٢٩	٣٨	١٦	٢٢	٤٨	١٩	٤٥	١٩	٢٦	الجمعة
٢٢	٥	٣١	١	٢٧	٣٩	١٧	٢٢	٤٨	١٨	٤٤	٢٠	٢٧	السبت
٢٢	٤	٣٠	٠٠	٢٥	٣٩	١٧	٢١	٤٧	١٧	٤٣	٢١	٢٨	الأحد
٢٢	٤	٢٩	٠٠٥٨	٢٣	٤٠	١٨	٢١	٤٧	١٦	٤١	٢٢	٢٩	الاثنين

أم المؤمنين السيدة حفصة رضى الله عنها

اسمها : حفصة ، وأبوها أبو حفص عمر بن الخطاب ، وإمها زينب بنت مظعون .

مولدها : ولدت قبل البعثة المحمدية بخمس سنوات .

زواجها : تزوجها الصحابي الجليل خنيس بن حذافة ، وكان من مهاجري الحبشة وشهد أحدا ومات سنة ثلاث من الهجرة وكانت آنئذ في سن الثامنة عشرة . وتزوجها رسول الله بعد السيدة عائشة سنة ثلاث من الهجرة على الأرجح .

روايتها للحديث : روت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ستين حديثا ، اتفق البخاري ومسلم على ثلاثة منها ، وانفرد مسلم بستة .

حفظها للمصحف : أم المؤمنين حفصة هي الحافظة الأمانة على أول نسخة من المصحف الشريف ، وذلك أنه لما انتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جوار ربه الأعلى جمع أبو بكر المصحف الكريم وأودعه عند أم المؤمنين حفصة ، وبقي المصحف لديها حتى أخذه عثمان بن عفان رضى الله عنه فنسخ منه النسخ التي وزعت في الأمصار .

وفاتها : تفرغت حفصة للعبادة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاشت صوامة تواجة حتى فارقت الدنيا سنة خمس وأربعين من الهجرة .

«الاشتراك»

تصلنا رسائل كثيرة من القراء يقصد الاشتراك في المجلة ، ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم ، ونفاديا لشياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين في الاشتراك ان يتعاملوا راسا مع متعدد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

- | | |
|-------------------|---|
| مصر : | القاهرة : شركة توزيع الاخبار / شارع الصحافة . |
| السودان : | الخرطوم : دار التوزيع — ص.ب : (٣٥٨) . |
| ليبيا : | طرابلس الغرب : دار الفرجاني — ص.ب : (١٣٢) .
بنغازي : مكتبة الخراز — ص.ب : (٢٨٠) . |
| تونس : | مؤسسات ع بن عبد العزيز — ١٧ شارع فرنسا . |
| المغرب : | الدار البيضاء — السيد احمد عيسى ١٧ شارع الملكي . |
| لبنان : | بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) . |
| عمان : | مؤسسة ١٤ اكتوبر للنشر والتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٧) . |
| الأردن : | عمان : وكالة التوزيع الأردنية : ص.ب : (٣٧٥) . |
| | جدة : مكتبة مكة — ص.ب : (٤٧٧) . |
| | الرياض : مكتبة مكة — ص.ب : (٤٧٢) . |
| | الخبر : مكتبة النجاح الثقافية — ص.ب : (٧٦) . |
| السعودية : | الطائف : مكتبة الثقافة — ص.ب : (٢٢) .
مكة المكرمة : مكتبة الثقافة .
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء . |
| المراق : | بغداد : وزارة الاعلام — مكتب التوزيع والنشر . |
| البحرين : | المكتبة الوطنية : شارع باب البحرين . |
| قطر : | الدوحة : مؤسسة العروبة — ص.ب : (٥٢) . |
| ابو ظبي : | شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) . |
| دبي : | مطبعة دبي . |
| الكويت : | مكتبة الكويت المتحدة . |

ونوجه النظر إلى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

المولد النبوي	الدكتور محمد عيد الزعوف	٤
التخلف الحضارى بين المسلمين	الدكتور محمد اليبى	٩
من عيد الهجرة الى عيد المولد	الدكتور محمد سعيد رمضان البوطى	١٦
عصمة النبي	الدكتور وهبه الزحيلي	٢٢
مؤتمر القمة الإسلامى فى لاهور	اعداد الاستاذ عبد الحليم عويس	٢٥
مائدة القارىء	٢٨
ميلاد الرسول الاعظم	الشيخ عبد الحميد السالح	٤٠
مشاهد من السيرة النبوية	الاستاذ محمد المجذوب	٤٥
الاسلام ومعاملة الاسرى	الدكتور أحمد الشريانى	٥٢
تصور جديد لربا الفضل	الدكتور أحمد صفى الدين عوض	٥٧
المنجزات الإسلامية فى القرن العشرين	٧٠
الزى الإسلامى	الدكتور أحمد الحجى التردى	٧٨
العمود المحمود (قصة)	الاستاذ محمد رشدى عبيد	٨٤
عالم الاسلام (كتاب الشهر)	عرض الاستاذ احسان صدقى العميد	٩٢
الطاهر بن عاشور	الاستاذ أنور الجندى	٩٦
مكتبة المجلة	اعداد الاستاذ عبد الستار نيفى	١٠١
الفتاوى	التحرير	١٠٢
بريد الوعى	اعداد عبد الحميد رياضى	١٠٥
قالت الصحف	التحرير	١٠٧
باقلام القراء	التحرير	١٠٩
الأخبار	اعداد الاستاذ فهمى الإمام	١١١
مواقيت الصلاة	١١٢
ام المؤمنين السيدة حفصة	١١٤